الحكاية الشعبية العراقية

دراسة ونصوص

كاظم سعد الدين



الجمهورية العراقيــة ـ وزارة الثقافة والفنون

دار الرشيد للنشر

١٩٧٩ ـــــــــــــــــ السلسلة الفلكلورية

(١٤)

كاظم سعد الدين

الحكاية الشعبية العراقية

دراسات ونصوص

المحتويات

نصوص في الحكايات الشعبية العراقية (الجزء الأول)

١
الحـكاية الشعبية العراقية
دراسة عامـة

تسميتها :

سميت الحكاية كذلك من المحـاكاة وقصـة من قص الاثر وسالفة أو سالوفة كما هو شائع في العراق والجمع سـوالف او سواليف أو سالفات اي الحديث عن الامور والاحداث السالفة .

أصولها وأنواعها :

يمكن اعتبار الحكاية الشعبية العـراقية من اعرق الحكايات في العـالم ولعلهـا هي المنبع الاول لاغلب الحكايات ، وقد مرت بتطورات عديدة نتيجة للاحداث التي مرت على هذه البقعة والشعوب التي تداولتها منذ ايام السومريين والبابليين والاكديين والآشـوريين والعـبريين السـبايا الذين أخـذوا عن اهل البلاد ثم عادوا ليعـطوا في أيام المسـلمين ما أخذوا[١]. واليونانيين[٢] حتى انه ليصعب على العالم والباحث ان يبت برأي قاطع ان كانت كثير من الحكايات ليست متأثرة بتراث ما بين النهـرين . وقد وردت مثل هذه الآراء في بحـوث كثيرة لعلماء تناولوا آداب شـعوب مصر والعراق والشرق الاوسـط واليونان والهند من أمثال سـامويل نوح كرير وكريفز وساندرز وفريزر وغيرهم كثيرون في الشرق والغرب .

ولرواية الحكاية تقاليد خاصة . فحكايات النساء غير حكايات الرجال . وحكايات البادية غيرها في الحاضرة . اما وقتها فعلى العموم ليلا . فيقال : اليوم «التعلولة» ابيت افلان . اي انهم يتعللون في قضاء الليل بسماع القصص أو السوالف من امرأة وقد التف بعض الاطفال وامهاتهم حولها وغالبا ما تكون عجوزا وهي مستودع لا ينضب من الحكايات . غير ان بعض حكاياتها تكون مفضلة لدى الاطفال فيطلبون منها متوسلين اعادتها . وقد تستغرق الحكاية ليال عدة ، تتخلل تلك الليالي طبعا بعض المأكولات كالزبيب والحمص والحب والجوز واللوز مع التمر أو اي فاكهة موجودة في ذلك الموسم شتاء أو صيفا كالبرتقال والرمان وفي الشتاء يجلسون في احدىٰ الحجرات وأمامهم المنقلة أو الموقد المصنوع من الطين أو السماور حيث يقدم الشاي . وفي أيام الصيف غالبا ما ينعقد المجلس في فناء الحوش حيث تسكن مجموعة من عوائل الاعمام والاخوال . واحيانا على سطوح البيوت سواء في الريف أو في المدن وخاصة في الليالي المقمرة . أما الرجال فيجتمعون شتاء في المضيف أو الديوان أو في بيت احد الموسرين الذي يقدم في العادة القهوة المرة . واما في الصيف فيخرجون من الحجرات وتفرش البسط بجانب المضيف أو في احدىٰ الحارات حيث تنظف عصراً . ويجلس الرجال متقابلين وفي الوسط دلال القهوة . اما في المدن فكانت مقاه خاصة يتلو فيها راويه يعرف بالقصه خون حكايات الف ليلة وليلة او سيرة عنترة أو الهلالية وغيرها(٣) وحكايات الرجال تختلف عن حكايات النساء في مضمونها وطريقة عرضها فحكايات الرجال تتناول احداثا واقعية كايام العرب او المعارك بين القبائل قد تدخل فيها الخرافات والخوارق وتصور الشجاعة والكرم والنبل والشهامة والعفة والغيرة والنخوة والوفاء والغدر الى غير ذلك اما حكايات النساء فتصور الحياة العائلية بكل ما فيها من

متناقضات وتطلعات . وفيها بقايا اسطورية وخرافية[٤] .

أما أنواعها :

فالحكاية عندنا على أنواع ولا تختلف بشيء من الاشياء عن حكايات الشعوب الاخرىٰ في الشرق أو الغرب سوى ما دخل عليها من المعتقدات المختلفة وقد تنوعت واختلفت نتيجة للنقل من شخص الى اخر على مر العصور والى مختلف البقاع فهي تلائم كل زمان وكل مكان نتيجة لمرونتها وقد سميت تسميات عصرية وهي[٥] :

١ - الاسطورة ٢ - السيرة أو الملحمة ٣ - حكاية الحيوان ٤ - حكاية الجان والخوارق ٥ - الحكاية الاجتماعية ٦ - الحكاية المرحة ٧ - المسائل ٨ - النوادر .

أسلوبها

للحكاية الشعبية العراقية - استهلال خاص وصلب وذروة وخاتمة .

ومن عبارات الاستهلال لدى النساء مثلا «**چان ما چان أو اكو ماكو يا عاشقين النبي صلوا عليه**» ويجيبها الحاضرون اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد ، ايذانا ببدء الحكاية . وتواصل الراوية «چان اكو فرد» وهذه الالفاظ محرفة عن كان ما كان . ومن عبارات الافتتاح : چان ما چان الله ينصر السلطان . هناك ما هناك . ذاك . ما ذاك .

وتستعمل لهجة خاصة في الحكاية ونبرة صوتية مؤثرة وهناك عبارات لطيفة عذبة وتشبيهات لا ترد الا في الحكايات فالذي لا تعجبه الحياة في مكان ما يحدث نفسه قائلا هذا مو بيت الحصان . واذا ما هجر مكانه وغالبا ما يسير على قدميه : گاع تشيله وگاع تحطه . واذا صادف زميلا في الطريق وكانت مشاربها تتفق : حطوا گلب على گلب . ويظل سائرا في طريقه فتعترضه المفاجئات فيقال مثلا : ما شاف الا هذاك

الحنفيش او الديو أو الصير (وهي مخلوقات خرافية ومن معانيها الآفة او الوحش فهي كلمات غير عربية) فيخاطبه قائلا اسويك لگمة لگمتين ؟ او قد يكون مخلوقا خيرا يخرج اليه حسب الطلب اما بفرك الخاتم او اشعال شعرة او التلفظ ببعض الكلمات فيقول له : اطلب واتمنى او لبيك لبيك وانا عبد بين ايديك اطلب واتمنى ... واذا غلب على امره وكان غريمه اقوىٰ منه فيقول له مثلا : اشجابك اشوصلك ، فيرد عليه البطل انطيني الامان والراى .. فيقول له الك الامان والراى . لان في الصدق النجاة ولابداء الرأى في جو من الحرية . ولتبيان حب البطل على عدم الاعتداء وعلى حب الخير والمسالمة يخاطب عدو المغرور جهلا بنفسه : يا معود عدل ، بدل . فيجيبه المغرور ولا عنها . فعند ذاك ينال عقابه جزاء عناده وطيشه . واذا طالت غيبة المغترب وحن الى أهله قال في نفسه : «يا غريب اذكر هلك» .

وقد يطيل في الوصف من اجل تذكر احداث القصة القادمة او قد يكرر الاحداث بحذافيرها ولا يكتفي بالاشارة اليها رغم الملل لاجل اطالة السمر . والتكرار شيء غير جديد على الحكاية العراقية . فنجده منذ أقدم العصور وخاصة في ملحمة كلكامش واسطورة الخليقة البابلية[٦]. او قد ينتقل من قصة الى اخرى كأن يقول أحد الاشخاص الحكاية مخاطبا صاحبه : لم تسمع خبر الذي .. فيسأله الاخر وما هو ؟ او : ان تفعل هذا اصابك ما أصاب فلان ... فيقول الاخر : وما كانت تلك القصة ؟ فيرد بقصة جديدة . وهذا الاسلوب من الخصائص الهندية[٧] المستعمل في الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة . غير انه استعمل ايضا في جمع الاعمال البطولية والمغامرات المنسوبة الى البطل كلكامش وصاحبه انكيدو وحوادث الطوفان الشهيرة مما جعل الملحمة كلها تبدو وكأنها وحدة فنية مطردة[٨].

ومن عبارات الاختتام : وعاشوا عيشة سعيدة (اذا كانت النهاية سعيدة) او تعيشون وتسلمون . فيرد عليها (عليه) المستمعون وتعيشين وتسلمين او وانت العايش وانت السالم . او : لو بيتنا گريب چان جبت لكم طبگ حمص وطبگ زبيب . او لو بيتنا هَين (هنا) چان جبت لكم طبگ حمص وطبگ عوين (وهي اللوبياء المجففة) او : لو بيتنا گريب چان جبت ثلاث رمانات وحدة لي وحدة لام علي (وهي راوية الحكاية نفسها) والثالثة لحچّاية الحچاية . واذا بها تستأثر بهن جميعا . ويتضح من اسماء الاطعمة انه كان يقدم أثناء السمر بعض المأكولات كما بينت سابقا . أو چنا عدكم وجينا .

حكاياتنا في الفولكلور المقارن

ثمة ظاهرة تدعو الى التساؤل الا وهي التشابه في الحكايات لدى شعوب تبدو لاول وهلة وكأنها منفصلة عن بعضها البعض كامريكا والبلاد العربية وشمال اوربا والصين والهند وغيرها . غير اننا لو تعقبنا التاريخ لوجدنا انها على اتصال بطرق متعددة وكثيرة وقد يقوم شخص واحد مغمور بتحطيم اسطورة الانفصال . وقد يكون مؤرخا وليس ادل على ذلك من المؤرخ اليوناني القديم هيرودوتس(٩) الذي جاب المناطق التي تعرف اليوم بتركيا والعراق وايران ومصر والبلاد العربية وينقل عنهم اساطير وحكايات مسجلة في تاريخه .

ان شعوب العالم القديم اذن كانت على اتصال وثيق لاي سبب من الاسباب سواء التجارة او الحروب او التبشير الديني او طلب العلم . وكان الاتصال لمدة اطول بسبب بطء وسائل النقل وطريقة سفرها . فكان الناس يضطرون الى الاجتماع في الخانات في انتظار انقطاع الامطار أو الثلج او عودة العربات او راحة الخيول او في الموانىء في انتظار رجوع السفن واذا ما جلسوا سواء في الاماكن التي ذكرت او

على ظهور السفن او العربات فانهم لابد وان يكونوا مجبرين لازجاء الاوقات الطويلة المملة والمسافات الشاسعة المترامية بما لديهم من حكايات جلبوها من بلادهم . فتنتقل بما يلائم المجتمع الجديد ويضاف اليها ما يناسب . كل ذلك يجعل الفرد اكثر تأملا وابعد تأثرا بما يرى او يسمع . وكان ثمة اتصالات ثقافية وغير ثقافية بين سكان العراق وسوريا وساحل البحر المتوسط والاناضول واسيا الصغرى الى بحيرة وان واليونان وكان من حلقات الاتصال كما يقول ليونارد وولي هي المملكة المنسية في شمال سورية حاليا ومن الموجودات فيها نوع من الفضة لعلها جلبت من اسبانيا[١٠] وهذا دليل على الاتصال البعيد المدى .

ويبين ساموئيل كريمر في كتابه الاساطير السومرية ان السومريين انتجوا أدبا واسعا راقي التطور يتميز بالسمات الشعرية بصورة عامة ويتكون من الملاحم والاساطير والتراتيل والمراثي والامثال والحكم .. وقد نقل الاشوريون والبابليون المؤلفات الادبية السومرية باسرها وترجمها الحيثيون الى لغتهم وقلدوها بصورة واسعة لا ريب فيها . وتأثرت بها المبتكرات الادبية العبرية والى حد ما الاغريقية القديمة شكلا ومضمونا بصورة عميقة جدا ... وتعتبر المراثي السومرية اصل المؤلفات التوراتية كسفر المراثي مثلا وكذلك مؤلفات الحكمة السومرية تعد اصلا لادب الحكمة الشائع في جميع ارجاء الشرق الادنى التي اتخذها «سفر الامثال» في التوراة مثالا له ... وان كلكامش يعتبر سلفا لهرقل وكور المخلوق المريع يمت بصلة ما إلى الالهة البابلية تيامات والالهة العبرية ليفياثان وتايفون الاغريقي[١١] .

انتقلت اذن كثير من الاساطير والمعتقدات السومرية الى هذه الاصقاع المتباعدة وصرنا نعتبرها اصيلة في بلدها لجهلنا تاريخنا وتاريخ اساطيرنا وحكاياتنا ومعتقداتنا . فيتحتم علينا ترجمتها جميعها والاطلاع

على ما لدى الامم الاخرى قديما التي تأثرت بما كان لدينا كاليونان والهند والصين ومصر وفارس على اقل تقدير . هذا وان التاريخ المشترك الذي مرت به البلاد التي دانت بالاسلام وما جاورها جعلها تتبادل التأثير مجددا من اسبانيا الى الصين مرورا باوربا وافريقيا وبلدان كثيرة من اسيا وخصوصا فارس والهند وأواسط اسيا .

واكد (بنفي) ان اصل حكايات الحيوان في مجموعة البانجاتانترا الهندية هو اصل اغريقي مبينا ان تاريخ ذلك التأثير لا يرقى الى ابعد من عام مئتين قبل الميلاد على أساس ان ذلك التاريخ هو اقدم تاريخ وصلت فيه خرافات ايسوب الى الهند . غير ان آى . جي . توماس اوضح في مقدمة مجموعة «جاتاكا» المترجمة عن البوذية والبالغة في كتابه مئة واربع عشرة حكاية من مجموع خمسمائة وسبع واربعين حكاية - اوضح العكس وبين ان اصل بعض الحكايات اليونانية المنسوبة الى ايسوب هو هندي ؟ لان حكايات جاتاكا اقدم من البانجاتانترا بقرون . وقد وردت حكايات من هذه الاولى لدى ايسوب الذي كان عبدا من جزيرة ساموس ويعتقد انه سامي الاصل . وبين ايضا مسألة ثانوية غير مسألة النقل الشفوي الا وهي اثر البانجاتانترا في الادب الاوربي في العصور الوسطى والحديثة عن طريق كليلة ودمنة التي ترجمها ابن المقفع عن الفهلوية وهذه جاءت عن نسخة هندية ناقصة ترجمت لكسرى انوشروان وبين أيضا بعض العلاقات بين الهند وفارس والعراق واسيا الصغرى ومصر واليونان في مقدمة كتابه المذكور[١٢] وسوف انشر هذه المقدمة وبعض الحكايات التي جاءت أو ذهبت اليهم في جاتاكا واعقد مقارنة بينهما .

يلاحظ مما سبق الترابط المعقد والاتصال المتشابك بين ثقافات العالم القديم والصعوبة في فرز تلك الاثار وتبيان أسبقية الواحدة على الاخرى الا بجهود مضنية .

وثمة مسألة اخرى الا وهي سبب تشابه الحكايات رغم عدم الاتصال أو بالاحرى رغم عدم انتقالها من مكان الى اخر .

يقول جيوفرى بريريتون : ان الحكاية الخرافية حسب النظرية الحديثة هي تعبير عن قوى نفسية عميقة فبالنسبة للطفل والبالغ ايضا يمكن ان ترمز أعمال الجن والسحرة والعفاريت العديمة العاطفة ظاهريا الى عمليات اللا شعور . وفي هذه الحالة ان كانت الطبيعة الانسانية في كل مكان متشابهة فان الحكاية الخرافية تكون متشابهة أيضا تحت ازياء محلية متنوعة وتغور جذورها عميقا في تكوين الانسان فلن تكون عالمية فقط بل لا يمكن ان تفنى أيضا"(١٣).

ونضيف الى ذلك الظروف المادية التي مرت على الانسان فالواقع الزراعي مثلا يدعو الانسان الى التفكير املا في زيادة الانتاج عن طريق زيادة رقعة الارض المزروعة والمحافظة على المزروعات وهذه الاشياء لم تكن تواتي الانسان الا بكثرة الايدي المتعاونة معا ولهذا السبب تعيش عوائل الاخوة في دار واحدة ويتزوج الرجل الواحد عدة زوجات لتنجب له البنين والبنات . فان كان وحيدا فكر في شريك غريب عنه وهذا الانسان بشر مثله لا يستطيع ان يغلبه لتشابه فكريهما او تقاربهما فصار خياله ينحو نحو ايجاد شريك قوي «غشيم» حيث لم يكن التكنيك الآلي الضخم عونا له . فكانت حكاية الفلاح الذي تشارك مع الجني في الزراعة ، واتفقا ، السنة الاولى على زراعة نباتات كاللفت والبنجر والجزر والفجل وقررا ان يكون ما تحت الارض للفلاح وما فوقها للجني . وعند القسمة فطن الجني وقال للفلاح في الموسم الاخر نقتسم بصورة معكوسة لك الذي فوق ولي الذي تحت فزرعا حبوبا كالحنطة والشعير والذرة وغيرها . وبذلك تكون الغلبة للانسان في كلتا الحالتين . ذلك هو الهيكل العام للحكاية اما البداية والنهاية والشخوص

والتفصيلات فتختلف . ففي الحكاية العراقية مثلا يتفق فلاح مع اخر يعرف انه الشيطان وفي الحكاية الاسكتلندية يلتقي الفلاح بالجني بينما يحفر الاول في تل صخري املا في زيادة رقعة الارض فيعارضه الجني على انه يهدم بيته فيتفقان على زراعة الارض حسب النصوص المذكورة ولكن الفلاح الاسكتلندي رغم شهرته بالبخل يقدم للجني شيئا من حصته املا في كسبه للعمل مرة اخرى . اما في الروسية فتجد شبيها لها بعنوان الفلاح والدب وقد نشرتها مجلة الادب السوفيتي بالانكليزية عام ١٩٥٩ في العدد الرابع وترجمت أيضا للعربية في مجموعة (حكايات شعبية روسية) وشبيه بها حكاية من النمسا . أما حكاية الفأس الذهبية (التي نشرتها لي (مجلتي) للاطفال فتجدها بنصها أو قريبا منها في الصينية وفي الانكليزية واليونانية - لدى ايسوب - حكاية بنفس العنوان مع اختلاف بسيط .

وحكاية (بنت الشحاذ) التي نشرتها لي ايضا مجلة مجلتي بعنوان (الامير الشحاذ) في آب ١٩٧١ فهي حكاية امير أراد ان يتزوج ابنة شحاذ ، فأبى ذلك الشحاذ ان يزوج ابنته لرجل لا عمل له . فقرر الامير ان يتعلم حياكة السجاد . وكرر المحاولة يخطب بنت الشحاذ غير ان الاب رفض مرة أخرى طالبا من يمارس الشحاذة اربعين يوما . وبعدها تزوج الامير بنت الشحاذ ويتفق ان يقع الامير الذي اصبح ملكا بعد موت ابيه في فخ لصاحب مطعم فيساومه الامير على ان يحوك له سجادة يبيعها لزوجة الملك فيحصل على ربح وفير . ويكتب الملك الجديد لزوجته رسالة سرية في نقوش السجادة فتستطيع تخليصه من أسره . فالحياكة لا بد انها فارسية من الاجواء التي عالجتها . وقد كتب وليم ساroyan الكاتب الامريكي الارمني الاصل حكاية بعنوان «بنت الراعي» عن حكاية حكتها له جدته وهي كالحكاية التي لخصتها .

أما حكاية سندرلا فهي منتشرة لدى اغلب شعوب الارض وقد

دونت في أوربا في ثلاثمئة وخمسة واربعين نصا مختلفا في رقعة تمتد من ارلندة الى روسيا[١٤] وباسماء متعددة مختلفة فعندنا في العراق تسمى ست الحسن وفي ايطاليا سينيرنتولا وفي فرنسا سندريلون وفي المانيا اشينبويل وفي روسيا جيرنوشكا وفي المجر بوبلوث وفي الصينية يه هسين . ويذكر لين يو تانغ الكاتب الصيني[١٥] ان اقدم تسجيل للحكاية في أوربا هو عام ١٨٥٨ قام به دي بيرير . اما الحكاية الصينية فيرقى تاريخها الى ما قبل ٨٠٠ م حيث سجلها توان شنغ سيه الذي توفي عام ٨٦٣ وقد قصها خادمه العجوز وهو من قبيلة يانغ جو والحكاية تدور حول بنت جميلة يتيمة وحيوان صديق لها وحذاء مفقود يبحث عن صاحبته أحد الامراء . وذلك الصديق في الحكاية الصينية سمكة ولدينا حمامة في العراق وفي أوربا طير ابيض والحذاء لدينا قبقاب من ذهب وفي أوربا من فرو أو من زجاج أو ذهب . ويظهر التشابه في اسم الفتاة ست الحسن في العراقية (ويه هسين) في الصينية . وهما اقدم من غيرهما على كل حال والاوربية انتقلت من العربية عن طريق اسبانيا او صقلية وقد ورد اسم ساردنيا في احد النصوص . وقد وجدت نصوص لحكاية سندريلا بين هنود امريكا الجنوبية وبولنيسيا[١٦] .

وهناك حكاية (التنبلخانه) وهي حكاية فارسية سمعتها من صاحب عبد وهي قصة شباب يتظاهر بالعجز فيستخف به الشاه عباس ويقول له (لو بيك خير ما سويت بنفسك هذي) فيذهب بمغامرة تجارية الى الهند مدعيا انه ابن الشاه عباس فيعود غنيا من هدايا راجات الهند ويصل خبره الى الشاه فيتزوج احدى الاميرات .

وحكاية (حامض اللبن وطيب اللبن) وهي حكاية صديقين لم يجدا العمل في مدينتها فاتفقا على الرحيل غير ان حامض اللبن يخون صديقه طيب اللبن الذي ينام في غار فيسمع حيوانات تتكلم ويستطيع ان

يستولي بذلك على كنز من الذهب ويشفي ابنة السلطان المريضة فيتزوجها . بينما تأكل الوحوش صديقه حامض اللبن الذي اراد ان يثرى بالطريقة نفسها . والحكاية قرأتها مترجمة عن الكردية بقلم الاستاذ توفيق وهبي بعنوان (سعيد وشقي) وسمعتها بعنوان (وفه وبد وفه) اي (وفي وغير وفي) وهما كلمتان فارسيتان . ولدي من الحكايات التي سجلتها حكاية (ولاية بطيخ) وهي حكاية المثل المعروف عن يتيم استطاع ان يجمع مبلغا من المال قيل انه يساوي ليرة واشترى به سبع بطيخات من خارج اسوار مدينة بغداد وقيل أيضا ان بغداد كانت مسورة بعدة أسوار - كما تدعي الحكاية - وعلى باب كل سور يقف حرس . وكان يأمل ان يبيع كل بطيخة بليرة فيربح بذلك ست ليرات وهكذا يمكنه ان يثرى . غير ان حرس أبواب الاسوار يأخذون منه ست بطيخات متذرعين بمختلف الحجج في سبيل سلبها منه وتبقى الاخيرة فتؤخذ منه بحجة ان الملك لديه ضيف مريض ولا يشفيه الا البطيخ فيخسر بذلك جميع ماله . ويشكو امره فيقال له ان امره موكول حله الى الملك نفسه ويريد الوصول اليه ولكن «جلاوزة» تحيط به تمنع وصول الناس اليه لئلا يعرف ما يجري خارج بلاطه . فيضطر اليتيم ان يسلك سبيل التمرد والطريقة غريبة وهي الاعتداء على الناس وأخذ (الخاوة) منهم لأتفه الاسباب قاصدا بذلك اشاعة التذمر كي يشكو امرهم الى الملك نفسه . ولكن جماعة الملك شاركوه أمره لما وجدوا في الأمر منفعة شخصية لهم . ويخترع طريقة مريرة الا وهي منع دفن الموتى والبكاء عليهم وتشييعهم الا بأجور باهضة على الجميع . ويتفق أن تموت ابنة السلطان فيمنع دفنها ويستطيع بقوته وقوة جماعته ان ينفذ أمره فيبلغ الخبر الى الملك الوالد . فيرسل اليه يستطلع الخبر فيجيبه ان ولايتك ولاية بطيخ . فيسأله وما ولاية البطيخ هذه ؟ فيسرد اليتيم على الملك ويعرف سبب الفساد ويطرد وزراءه ويعين

صاحبنا اليتيم الذي اتخذ له (جماغا) أي هراوة لاجبار الناس على اداء «الخـــاوة» - يعينه وزيرا وهذا يعـين بدوره جماعته مسـاعدين له . هذا ملخص الحكاية المثل . سمعتها من بعض القرويين في الخالص وقرأتها بعد ذلك مترجمة بقلم محمد عيتاني في كتاب قصص مختارة من الادب الهندي عن مجموعة (السلال الثلاث) بعنوان : ذو العصـا الغليظة . وسمعتهـا من شخص افغاني وقص علي الحكاية شخص تركي باختلاف بسيط الا وهو ان الشـخص المتمرد في البداية ليس يتيما بل عاطـل عن العمل لخـروجه الحـديث من السـجن . اما القصـة الهندية فتختلف بأن البطل يشـتري خيارا وليس بطيخا وتتشابه الحكاية في الروايات جميعها تشـابها عجيبا . وهناك حكاية تركية مشابهة لحكاية ولاية بطيخ وهي حكاية (فالتون دايرة سي)[١٧] .

وموضوع تشابه الحكايات بحـاجة الى توسـع أكثر وثمة حكايات لدى مختلف الامم ولدينا تفوق العد والحصر رحلت وتشابهت بمختلف الوسائل والسبل سأعود الى هذا الجانب عودة خاصة في بحث مفصل منفصل .

البطل :

البطل أهم شـــخصية في الحكاية ويختلف باختلاف نوع الحكاية التي عددنا أنواعها . وقد يكون واحـدا أو أكثر من واحـد . وهم في العـادة قليلون تبعـا لطول الحكاية . وقد يكون البطل ذكرا أو انثى ، طفـــلا أو كبيرا ، انسانا أو غيره .

والغالب في شخصيته أن تكون ثابتة غير متطورة تحمل صفة واحـدة فان كان شـجاعا رافقته الشـجاعة حـتى النهـاية رغم انه في البداية يمر بتجارب تجعل الآخرين ينظرون اليه نظرة استخفاف حتى اذا بلغ النهـاية تغيرت نظرتهم اليه . ومن هؤلاء اليتيم والراعي والفـلاح ودقاق القهـوة

والعامل البسيط .

وللابطال ميادينهم الخاصة وبيئاتهم غير انها يمكن ان تحور قليلا بما يناسب المجتمع الذي تروى فيه الحكاية كالمجتمع البدوي أو الزراعي أو المدني في بدايتها مثلا كي تكون مستساغة مؤثرة في السامعين .

وتتجلى صفات البطل التي قلنا انها في الغالب تكون واحدة ، خيرة أو شريرة وهذه الصفات كالجمال والقبح ، والحب والكره ، الشجاعة والجبن ، الوفاء والغدر ، الخيانة والأمانة ، الذكاء والبلادة حب الناس والخير والرأفة والعفة والامومة وحب الوطن والعمل والتمويه والخداع والادعاء والغرور والعجرفة والكسل والطفيلية والغش والطمع والتكبر والظلم والقسوة وعدم احترام المرأة والطفل اليتيم والارملة والفقير - تلك الصفات تتجلى في سلسلة من الاحداث والمغامرات في جو من المبالغة والتهويل من اجل اسباغ عنصر التشويق بإثارة حب الاستطلاع أو الخوف من المجهول أو حب المغامرة والنجاح واظهار القوة لدى السامع وتلعب المفاجأة دورا مهما في بلوغ الاحداث ذروتها واصطراع البطل مع غريمه ونجاحه واظهار صفته التي يتميز بها واذا أعيته القوة البدنية والحيلة أعانته قوى خارجية مختلفة كالجن التي تعطف عليه لأعجابها بصفة من صفاته وتعليمه السحر مثلا أو نطق عبارة أو تزويده بآلة كالمصابيح أو الخواتم أو العصى أو الشعر أو حب الماء (الزير) .

والحكاية الشعبية لا تحفل بالصفات الفردية للشخص الواحد ولا تتبع تطوره النفسي لأن الحكاية يتداولها الناس شفاها والرواية غير القراءة التي يمكن فيها التروي والاسترسال والاعادة فتطغى في الحكاية الشعبية الصفات العامة التي يبحث عنها الجماعة والتي ذكرت سابقا . وحكايات النساء تختلف عن التي يرويها الرجال .

وقد يكون البطل من السلاطين أو الامراء أو الملوك[١٨] فتلك ضرورة

اقتضاها التأريخ حيث كانوا يمثلون الألهة وكانوا ملجأ للفرد يحتمي بهم . بل لقد مرت فترة على الانسان وعلى الجماعة يقرر فيها مصيرهم فرد واحد . وهو في العادة اشجعهم - في الانتصار والخذلان في العبودية والانعتاق . والمبارزة بين رؤساء الفرق المتحاربة دليل على ذلك ، التجأ القصاص اليهم عندما اعيته الحيلة الفنية كحل المشاكل وعامل مساعد لوصول البطل الى غايته . ولكن بمرور الزمن وجدوا في السلاطين ما لا ينسجم وعصرهم فراح القصاصون بل الشعب يقفون ضدهم ويستخفون بهم ويقابلونهم وجهاً لوجه مع أبسط الناس فيغلبهم رعاتهم لصفاتهم الحميدة أو غيرهم من الناس كالشحاذين واليتامى والفقراء . كما في حكاية بنت الشحاذ وولاية بطيخ وخلف الراعي وغيرها كثير .

الهدف من دراسة الحكايات[١٩]

إنْ نحن درسنا تراثنا الشعبي من الحكايات اضافة الى غيرها ، استطعنا ان نقف على تطور المفاهيم الانسانية في هذه البقعة من العالم من حيث المعتقدات الى الاساطير الى رحلات هذه الاساطير والحكايات وتلاقح الثقافات المختلفة ويمكن ان نستدل من الدراسة على درجة ثقافة المجتمع السائدة فيه أو التي انبثقت منه ونفسيته المتمثلة بتلك الثقافة أو جزء منها واستخلاص اوضاع اجتماعية وتأريخية وعادات وتقاليد ومعتقدات ومفاهيم وما يحبون وما يكرهون وما يتمنون وما يستعملون في بيوتهم وأعمالهم وما يلبسون وما يشربون وما يأكلون ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومجاملاتهم وتحياتهم ونظرتهم الى مجتمعهم والى غيرهم - أي واقعهم ومدى رضاهم عنه وآمالهم في الابقاء على الصالح منه وتغيير ما هو ضد مصالحهم واساليبهم في ذلك وأحسن الاشكال الممكنة في الحكم . فحكاية ولاية بطيخ مثلا يمكن ارجاعها الى أيام بابك الخرمي والمازيار حيث كان لهما انصار يأخذون من ضحاياهم علامة كالخاتم والثوب والمنديل

والتكة[30] ثم قضي على ثورة بابك الخرمي عام ٢٢٢هـ، وتبين كذلك اوضاعا سادت ايام الزط جنوب العراق وأيضا عن القرامطة والثورات التي حصلت في بطائح العراق ومنهم الزنج . ويمكن اعتبار هذه الحكاية وما شابهها من حكايات الشطار .

والآن سأتناول الانواع المختلفة للحكايات بما يسعف المجال :

الاسطورة وحكايات الجن :

أصل الحكايات الاساطير . والاسطورة تأريخ واقع مقدس اعتقدت به الجماعات البدائية وبه تفسير لنشأة الكون أو تعليل للظواهر الكونية أو الطبيعية[31] المختلفة فأول ما لفت انتباه الانسان بعض الحيوانات فجسد[32] صفاتها فاصبحت تلك الحيوانات آلهة أو انصاف آلهة أو مخلوقات خارقة لها وظائف معينة . فمن نظرة الانسان الى التبدلات الطبيعة التي تجري أمامه صار يبحث لها عن تعليلات من واقعه سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة . فمن الولادة والنمو فكر بأصل الكون وخلقه . وجعل لكل شيء إلٰهاً أو شبه اله أو انسانا أو مخلوقا خارق الصفات وقد حظيت بعض الحيوانات بالنصيب الاوفر كما ذكرت أعلاه .

وان المنطق السليم يدعو الى ان نقول ان واضعي هذه التعليلات هم من المفكرين الاقل عملا من غيرهم ولديهم بذلك متسع من الوقت للتأمل فأصبحوا بذلك موضع اعجاب بل ثقة العاملين المنشغلين بأمور الحياة من صيد وزرع وبناء وغيرها . بل اصبحوا ذوي مكانة لادعائهم معرفة اسرار الالهة التي أوجدوها وأنهم مستودعها وان لهم اتصالا بها . واسبغوا على تلك الآلهة وأشباهها صفات[33] مختلفة غير انها خلط مما يرى الانسان في الحيوان الذي أثار اعجابه من ناحية القوة البدنية أو المنعة أو الحيلة فالاله أو شبهه له جسم انسان ورأس نسر وأذن حصان أو جسم ثور ورأس انسان وجناحا طائر أو جسم أسد ورأس تنين

وأرجل حيوان آخر الى غير ذلك من الصفات التي بهرت الانسان لدى اجتماعها في هذا المخلوق الغريب الذي له تأثير على حياته وحمايتها . كان الانسان ذو العلاقة يعرف مدلولات تلك الصفات ويعرف حكايات تلك الآلهة واشباهها والمخلوقات الخارقة والابطال والملوك ويسردها بمناسبات خاصة ويستمع لها الآخرون بكل خشوع وثقة وبمرور الزمن وتبدل الاحداث ضاعت تلك المدلولات لأسباب مختلفة منها اختلاط الثقافات بالوافدة وتخلفت عنها حكايات الجان[٢٤] والخرافات[٢٥] .

وما زالت مخلفات تلك المدلولات باقية في حكاياتنا الشعبية العراقية منذ ايام السومريين ومن تلاهم . فما زالت العامة تقدس الهواء ولا تجيز سبه أو لعنته لأي سبب من الاسباب فقد كان للهواء إله اسمه انليل مثلا . وانكي اله الماء لدى السومريين ويذكرنا هذا بتقديم الشموع للخضر نذرا على خشبة طافية لأنه يعيش في الماء رمز الحياة . والماء يلعب دورا مهما في الحكايات الشعبية في السحر تستطيع العجوز أو الساحر ان تمسخ غريمها أو غريمتها الى حيوان ويستطيع من يعرف اسرار السحر ان يرشه بالماء اذا قرأ عليه بعض الكلمات وان يعيده الى اصله الاول . والعجوز أيضا تركب حب الماء (الزير) وتطير به الى حيث تشاء . ويمكن للانسان ان يعيش داخل الماء في حالات اتصالاته بصورة ما باحدى المخلوقات المائية . كما في حكايات «السعلوة» المختلفة وحكاية الغزالة المسحورة التي كانت صبيا هرب مع اخته الكبرى وعطش في الطريق في عدة مراحل وعندما شرب الماء أخيرا تحول الى غزالة وتزوجت اخته من امير احبته ساحرة فاحتالت على الاخت ورمتها في النهر ولكن الاخت لا تموت ولا تستطيع ان تخرج من الماء . وتحل محلها الساحرة بعد ان تتقمص شخصية الزوجة وتغري الساحرة الامير بذبح الغزال لئلا يكشف سرها ولكنه لا يفعل ويراقب الغزال ويتبعه الى حيث

اخته التي يكلمها وتكلمه فيذهب الى الساحرة ويجبرها على اعادة الولد الى سابق صورته بعد ان يخرج زوجته من الماء . (وطبعا تحرق الساحرة) .

ومن الالهة وأنصافها من كانت حراسا على بعض الاشياء المقدسة كالشجرة المقدسة أو على الانهار أو العالم الاسفل . أو غيرها وما زالت الحكايات تحفل بأولئك الحرس . ففي الاساطير القديمة السومرية والبابلية نجد خمبابا حارساً غابة الارز ويدور صراع رهيب بينه وبين كلكامش وصاحبه انكيدو ويعينهما اله الشمس فيقتلاه ويقطعا رأسه[٢٦] . وكانا قد قتلا قبله حارسا عينه خمبابا نفسه على باب الغابة[٢٧] وفي طريقه الى اوتو نبشتم الذي قصده ليسأله عن لغز الحياة والموت يعترضه حارس الجبل ماشو وزوجته وهما من البشر العقارب[٢٨] ويصف له الرجل العقرب الاهوال التي سيقابلها وما يجب عليه ان يعمله . واسطورة ادبا وفيها تموز ونن - كش - زيدا حارسان على باب السماء[٢٩] . اما انانا ملكة السماء وآلهة النور والحب والحياة فانها تعقد العزم على زيارة العالم الاسفل من أجل اطلاق سراح حبيبها تموز غير ان اختها ارشخيكال عدوتها اللدود آلهة الظلام والموت تنتزع منها كل شيء وتميتها غير ان انليل يعيدها الى الحياة ثانية بواسطة طعام الحياة ومائها[٣٠] وأنانا في أدوار أخرىٰ هي عشتار ودورها في استعادة تموز هو دور انانا نفسه . يفسر تلك الاعمال والمشاق علماء الانثروبولجي بأنها اسطورة أمطار الربيع والقمر[٣١] . اما جيمز فريزر فيبين ان شعوب مصر وغربي آسيا تمثل موت الحياة وبعثها السنويين لا سيما حياة النبات تحت أسماء اوزيروس وتموز وادونيس واتيس فشبهوا النبات باله يموت كل سنة ثم يقوم من بين الاموات وان في آداب بابل ترحل عشتروت كل سنة في البحث عنه الى البلاد التي لا عودة منها الى دار الظلام وبعد اهوال ومصاعب تعود مع حبيبها تموز الى

الارض العليا لكي تنتعش بعودتها الطبيعة من جديد[٣٢] .

وكان بعض المخطئين يلقون في النهر جزاء ما اقترفوا وكان النهر مرعبا ونتيجة لهذا الرعب عبدوا آلهة الماء نينا . ونينا هذه كان لها اخت اسمها نيسابا كانت ترسل شعرها على كتفها وهي جالسة على كومة من الاغصان . فلا بد ان مفهوم السعلوة انبثق من ذلك[٣٣] . وهذه السعلوة انثىٰ بيتها في الماء سواء النهر أو البئر أو قريب منها واذا اعجبت بانسان تزوجته قسرا ولكيّ لا يهرب منها تلحس رجليه فيصيبه الشلل وهي داخل الماء واذا ما خرجت لحاجة استغل زوجها غيابها وتشمس ودفئت رجلاه عادت اليه قوته وهرب . وهي مخلوق اشبه ما تكون بالامرأة العجوز يكسوها شعر اخضر وتشبه العنزة في خلقتها وثدياها طويلان متهدلان تلقيها على كتفيها الى الوراء وفي جسمها قمل كثير واذا ما انست لاحد ساعدته في حل مشاكله والتغلب على مصاعبه والذكي من الناس يعرف كيف يكسب ودها فهي تحب الثناء ويأتيها من خلفها ليرضع من ثديها ويناديها يا أمي ويأكل السمسم وهو يتظاهر ان قملها طيب الطعم فتطمئن اليه وتوليه مساعدتها بايقافه على بعض الاسرار التي يمكنه ان يتغلب بها على مصاعبه التي تعترضه . وزوجها الحنفيش أو الديو وهي كلمة كردية أو فارسية معناها الوحش أو الآفة . ولها اولاد منهم جنجل وجنيجل وفريج الاقرع وهذا الاخير مولع بركوب الخيل حتى انهاكها فيحتال اصحابها بوضع القير على سروجها فاذا ما ركب يلتصق به ويمسكونه ويروح يتوسل اليهم أن يطلقوا سراحه ولا يفعلون وتأتي امه السعلوة وتتوسل اليهم ويصرون ولكنها تغريهم بان تعطيهم دواء للرمد وهو التفلة (البصقة) في العين والدوسة على الظهر المتألم وهما ما يبغون فيطلقونه . وما ان يفعلوا ذلك حتىٰ يهرب الى الماء وهو يسبهم كما يفعل الاطفال . وتسمىٰ احيانا بالدامي والدامية وهي التي تمتص دماء من

تظفر بهم ولا يعجبونها وتقـول قبل العثور عليهـم : اشـم ريحـة بني آدم . وإذا ما ظفرت به تخاطبه بقولها : اسويك لقمة لقمتين ؟

وحكايات (ذرب الصد لا رد) الشعبية ترد فيها المصاعب والعـراقيل والمهـالك وتتمثل بالعفـاريت والمخلوقات الغـريبة ومنهـا الديو والحنفيش والطنطل والصـير وغيرها ويسـتطيع البطل التغلب على تلك الاهوال بواسطة معين آخر يساعد باعطائه شيئًا من الاشياء كالابر أو القـير أو الشعر أو يعلمه نقطة الضـعف في خصـمه الوحش أو يعلمه كيف يحـول نفسه الى مخلوق آخـر اقوىٰ من خصـمه فكلما تحـول الى حيوان ما مثلا تحول الاخر الى غيره اقوىٰ منه حـتى يغلبه أو أن يمنحـه أدوات سـحرية تساعد في الوصول الى مبتغـاه كالبسـاط السـحري أو الحبل الذي يقيد العدو والعصا التي تضرب أو البوق الذي ينفخ فيه فيخرج منه جيش . أو الشمعدان الذي يشعله فيخرج منه رجـال اشـداء من الجـن يلبون أي طلب له . الى غير ذلك من الوسـائل الكثيرة . ويمكن ربط هذه الحكايات برحلة انكيدو صـاحب كلكامش الى (ارصـيت لا تارى) اي الارض التي لا رجعة منهـا وخـلاصه على يد كلكامش بعـد أن يسـجن هناك .

ان لجوء القصـاص الشـعبي الى هذا النوع من المعـين من القـوىٰ الخارقة لانقاذ بطل القصة أو مساعدته ينطبق بالضبط على مرحلة تاريخية مرت بها البشرية وهي مرحلة عبادة انصـاف الالهـة - مرحلة البطولة - Deux ex Machina تلجـأ في طلب الانقـاذ من الكوارث والنكبات الى الايمان بمعجزات انصـاف الالهـة[٣٤] فكثير من الحكايات أبطالهـا ملوك او سلاطين او امراء فتلك كما مر مرحلة اقتضاها التاريخ أصبح فيهـا اولئك الملوك الهة أو انصاف الهة نتيجـة للانتصـارات التي قاموا بهـا ضـد اعدائهم من البشر أو الحيوان أو الظواهر الطبيعية فصاروا ملجـأ للفـرد

يحتمي بهم . بل مرت فترة على الانسان وعلى الجماعة يقرر فيها مصيرهم فرد واحد في الانتصار والخذلان في العبودية والانعتاق . والمبارزة بين رؤساء الفرق المتحاربة دليل على ذلك . غير انهم بمرور السنين وتبدل الاحوال وجدوا في الملوك والسلاطين وغيرهم ما لا ينسجم وعصرهم بل تمثل فيهم الظلم والاعتداء فراحت القصص تعرض أبطالها من بسطاء الناس الذين يواجهون اولئك الطغاة فيغلبونهم[٣٥] وقد اعانتهم تلك القوى الخارقة .

وبمرور الزمن وغزو الاقوام بعضهم بعضا اختلطت الثقافات وخرجت الاساطير من حيز المعتقد الواقعي الذي يفسر الكون والظواهر الطبيعية وصفات الحيوان الى مجال السرد فصار ذلك تاريخا يحكى واصبحت الالهة وأنصاف الالهة أو رموزها سواء التي مقرها في الهواء أو السماء أو الارض أو تحتها ابطالا لحكايات ندعوها خرافات . وان الحكايات التي لا يمكن تصديقها الان كانت من المعتقدات الراسخة التي لا يمكن ان يشك بها في أيام عبادة تلك الالهة التي كانت تصدر الاوامر والارشادات والتعليمات الى الملوك والكهنة وكان الانسان يرى صور وتماثيل تلك الوقائع امامه وكانت الالهة كما أوضحنا سابقا على شكل حيوانات أو تحمل صفة من صفاتها فهي اذن لها لغة خاصة تتفاهم بها مع بعض الناس . واعتقد أيضا لذلك ان للحيوانات لغة تتفاهم فيما بينها اذا اطمئنت من عدم وجود آدمي قريب منها بل هي تتكلم لغة القوم ويستطيع من يختني ان يفهم كلامها ويستفيد من الاسرار التي تملكها فتقول مثلا لو يدري بني ادم ان كذا علاجه كذا وهذا حله بهذا والحكايات كثيرة منها وسوف ترد في باب حكايات الحيوان .

فكيف يمكن ان نفسر حكاية الطير الاخضر بمقتضى المعلومات السابقة : الحكاية في جزء منها تقول : ان زوجة اب تذبح ابن زوجها

من زوجته المتوفاة وتعمل منه طعاما وتقدمه لزوجها فيستلذه . غير ان شقيقة الصبي تجمع عظامه وتدفنها تحت حب الماء فينبت رقيّة (بطيخة حمراء) واذا ما نضجت فانها تنفتح عن طير اخضر ينتقم من ابيه وزوجته ويعود لاخته .

فقصة عودة القتيل الى الحياة - وثمة غير هذه القصة أيضا - تشبه عودة تموز الى الحياة التي مر ذكرها لاجل منفعة الناس كما نفع الولد أخته . والقصة تبين مساوىء زوجة الاب وحقدها . وتبين أيضا استغلال الاب لجهود ابنه الى حد استساغته لحمه مأكولا وملجأ البنت التي لا حرية لها في الفترات السابقة من التاريخ الى اخيها وليس الى أبيها في هذه الحالة لانه تزوج امرأة اخرىٰ اخرجته عن عاطفة الابوة . اذن فان الحكاية بقية من رواسب الاساطير وما بعدها فقد صورت لنا حالة اجتماعية عن تعدد الزوجات وزوجة الاب وتصرفاتها وآمال اليتامىٰ في الخلاص .

والحكايات الشعبية تحفل بوجود هذه المخلوقات الخارقة . وقد تكون هذه المخلوقات شريرة وقد تكون خيرة حسب الظروف الاجتماعية والمادية فان كانت الظروف سهلة كانت هذه المخلوقات خيرة تعين الانسان كالحمامة في حكاية ست الحسن أو سندريلا أو السمكة التي تمنح الصياد خاتما أو سرا أو درا والقطة التي تبيض الدر الذي تهبه الى بنت الشواك لانها كانت تطعمها من طعامها القليل . أو الفرس في حكاية الملك محمد وحتى الحية التي كانت تلاعب وتغني لابن جارتها التي خرجت لحاجة لها .

وان كانت الظروف عسيرة كانت هذه المخلوقات شريرة وقد مر ذكر هذه المخلوقات .

وهي أمم وقبائل منها المسلم ومنها غير المسلم ومنها المدني ومنها

القروي ومنهـا البدوي الذي يسكن بيوت الشـعر . منهـا من يسكن على وجـه الارض عند الجبال والتلال وقرب العيون والينابيع والابار . ومنهـا من يسكن داخل الارض أو الماء أو الشجر .. ومنها من يسكن مفردا مع الناس في بيوتهـم يعينهـم في امور حياتهـم .. ومنهـا من يسرق زادهم وحـاجياتهم ويمكن اتقـاء أذاهم بالبسـملة أو الصـلاة على النبي محمد أو بحمل شيء من الحـديد كالسكين أو الابرة أو الدبوس أو الملح أو سـن الذئب ومنها من يستعير الملابس لايام الاعراس فتجـدها صـاحبة البيت وقد عادت الى صرة الملابس ملطخـة بالحناء ومنهـا من تأخـذ الصـبيان تختنهم مع فتيانهم فيقال لذلك الختان الناقص (طهـور ملايكة) ومنهـم من يستبدل الرضع من البشر باخـرين من الجـن ومن النسـاء من يلدن جنا يقومون بكل الشرور والاذى لذويهم ومن النساء من لا يلدن ويتمنين ابنا يعين اباه ولو كان بعيرا أو ضـفدعا ولهـذين حكايتين لطيفتين ومنهـم من يتزوج بشرا وخاصة نسـاؤهم وتعقـد شروط ويشـعر الانسـان دائما أثناء زواجه بالغربة والحنين الى اهله . والعمر بينهـم دهور بالنسـبة للانسـان ومساكنهم التي تحت الارض أبوابها من الخرائب المهجورة أو البساتين أو القبور أو عيون الماء أو الابار وقد يتخـذون هيئة الانسـان أو الحيوان أو النبات أو الحجر والحصى وله قابلية التحول من حال الى حال في غمضة عين . وأصل العشق والزواج بين الانس والجـن قديم ورد في الاسـاطير فعشتار عشقت كلكامش مثلا ولكنه رفضها . واذا تزوجـت الانسـية من جني فيقـوم ابوها أو زوجهـا أو اخـوها ، والاخ هو الاعم ، بمغـامرات لتخليصها. وقتل الجني وقتل ابنه منها كما في قصة «مستوفي» ومسـتوفي هذا ابن اخت يخلص خـاله من ابيه الحنفيش لانه رعاه ورباه وكذلك من أمه الخائنة . وفي حكاية اخـرى تسـتطيع الاخـت قتل أخيهـا غير ان كلبه يلحسه ويعيد له الحياة . فيأتيها الاخ وهما نائمان ويقتلهما معا .

حكاية الحيوان

تقسم حكاية الحيوان الى أنواع منها :

١ - حكاية حيوانات تتصرف بدون كلام . وهي التي تروى عن تصرفات بعض الحيوانات ومغامراتها مع بعضها البعض أو مع الانسان . كحكاية اللقلق الذي قتل انثاه لانها خانته مع اخر وقتله ثم القى نفسه من شاهق ومات .

٢ - حكاية حيوانات تتكلم فيما بينها أو تجتمع في مجلس مكون من مختلف أنواع الحيوانات وتتصرف تصرف البشر ولها قابلية النطق ولا عبرة بالعداء المستحكم فيما بينها بل هم اصدقاء اعزاء يزجي احدهم الرأي والمشورة لاصحابه الاخرين .

٣ - حكاية حيوانات تخالط البشر وتعينه وتكلمه وترشده .

ان حكاية الحيوان اسبق من الخرافات غير ان هذه الاخيرة اختلطت مع حكايات الجن بسبب الاعتقاد ان للجن قدرة على تحويل انفسهم الى أي نوع من الحيوانات . فمثلا يروى ان الذئب يطارد الجنية فتتحول من حيوان الى آخر ايهاما له ولكنه لا يكف عنها حتىٰ تقلب نفسها حصاة فيأتي اليها ويعضها وما زالت الناس تعتقد ان الحصاة التي عضها الذئب لا يمكن ان تعود الى سابق شكلها غير انها تنفع اذا ما وضعت تحت الوسادة فانها تأتي في الحلم وتخبر النائم ببعض الاسرار وما زال الناس يستعملون سن الذئب لدفع اذىٰ الجن والعين .

النوع الاول من الحكاية وظيفتها تفسير بعض الظواهر الطبيعية[٣٦] . كحكاية العصفور الذي ارسله الله من اجل جلب ماء الحياة لكنه سرقه وشربه . فقيد الله رجليه بقيد لا يرى فما زال يقفز مكبلا . ويقال ان في العصفور مثالا من العافية لدىٰ اكله لانه شارب من ماء الحياة .

وحكاية الحمامة المطوقة أو الفاختة ويسميها الناس الفختاية قيل انها

سبحت في دم احد الائمة فاسود طوقها علامة وتمييزا . وحكاية الدجاجة التي أرادت أن تطير مع الطيور فقالت الطيور اننا غدا بتسهيل من الله سوف نطير ولكن الدجاجة قالت : اذا سهل واذا ما سهل فاني سوف اطير غدا . فانتقم منها الله ولم تطر .

وحكاية تقديس أو احترام الحمام الازرق حكاية قديمة فقد تصور قدماء العراقيين الموتى على هيئة طيور[٣٧] . وقيل ان سميراميس كانت راعية غنم اعجب بها الضابط منونيس وتزوجها ولكن الملك نينوس ارسل زوجها في حملة عسكرية وسلبها منه فانتحر الزوج ومات الملك الشيخ فحكمت سميراميس اثنتين واربعين سنة وكانت مصلحة محبوبة لدى الشعب وحدثت ضدها بوادر ثورة قضت عليها بنفسها وتآمر عليها ابن زوجها وقيل ان الكهنة ساعدوه على ذلك . واختفت سميراميس بطريقة غامضة وقيل انها تحولت الى حمامة طارت مع سرب من الحمام[٣٨] . وصدق الناس . وما زالت في بعض الحكايات الشعبية تظهر الحمامة أو بعض الطيور معينا لتطور احداث الحكاية ولعلهم بعد موت سميراميس كانوا يتصورون ان تلك الملكة المحبوبة المصلحة تأتي لمساعدتهم بشكلها الجديد . وما زالت الحمامة مقدسة عند بعض الناس لانها (دخيل) على الائمة والمساجد فهي تحط على المنائر والقباب . أما اللقلق فقيل انه كان صاحب علوة (مخزن حبوب) يتلاعب بالموازين فسخه الله الى هذا الطير القلق ضعيف الاعصاب شأنه شأن السراق المرتقبين . وما زال اللقلق رغم ذلك يسرق وثمة حكاية عن سرقته قلادة من ابنة السلطان وقد اتهمت بها ابنة الشواك . فنذرت ان تصوم اذا ما كشف أمر القلادة . وصادف ان كان رضيع قد رأى اللقلق يسرق القلادة ويضعها في عشه فلما كبر الرضيع قال انه رأى اللقلق يخطف القلادة يوم كانت السماء مثقبة (فقد وضعت امه المنخل على وجهه اتقاء الذباب) . وكشف

الامر واعطيت بنت الشواك مرادها . وقيل ان اللقلق سأل ابن آوىٰ كم يصبر الله على الذنب فقال له اربعين سنة . فسرق اللقلق سيخا للشواء فوضعه في عشه وصادف ان التصقت به جمرة فاحترق العش فرجع اللقلق يسأل ابن آوىٰ ويعاتبه : الم تقل ان صبر الله اربعين سنة فاجابه ابن آوىٰ : هذا ذنب عتيق .

اما صياح الديك فان هناك ديكا في السماء يقول (سبوح قدوس) تسمعه الديكة جميعا وتردد وراءه تسبيحه . وان الحمار ينهق لانه يرى ما لا ترىٰ الناس وكذلك نباح الكلب . والبوم مشؤوم لانه يذكر بالخرائب والموت ويقال له اذا نعب «سكين وملح» اما الغراب فانه مشؤوم من ايام قتل هابيل لقابيل . فقد قتل غراب غرابا وحفر الارض ودفنه . فتعلم منه هابيل فدفن اخاه قابيل . وما زالت الناس تقول مستفسرة عن أمر من الامور : حمامة لو غراب ؟ وهذا يرجع الى ايام السومريين والبابليين وفي سفر التكوين عن اطلاق الطيور ايام الطوفان[39] . ويقال ان سمك الجري مكروه لان الامام علي جاء ليتوضأ من نهر فخبطت الجرية الماء .

اما الفراشات الزاهية الالوان فهي ارواح البشر فقد حدث ان توفي رجل اشتبه ملك الموت باسمه فركب زورقا وشاهد من مشاهد الحياة الاخرىٰ جسراً من حديد على نهر اسود تمشي عليه الارواح وعندما نودي على الموتىٰ تبين ان المطلوب غيره فعاد للحياة الدنيا . وتكملها حكاية الفلاح النائم تحت شجرة بعد ان تغدى لبنا وخيارا وخبزا . حلم انه مات وسار في احدىٰ مراحل رحلة موته على جسر من حديد فلما استيقظ من حلمه وقص رؤياه على زميله الذي كان لم ينم الى جنبه قال صاحبه انه رأىٰ روحه تسير على السكين الموضوعة على طاسة اللبن على شكل حشرة زاهية الالوان . وقد كان قدماء المصريين يصورون روح الميت على هيئة فراشة . وكذلك العراقيون القدماء تصوروا ارواح الموتىٰ على

هيئة طيور . وتسمي الناس طائر السنونو (السند وهند) بالحجي وكذلك اللقلق لانهم عندما يذهبون الى مكة يرونها هناك لدفء الجو . اما الدعسوقة الحمراء المرقطة فان الناس تسميها فرس الحسين .

واما المصريون القدماء فقد اتخذوا رمزا مقدسا من حجر شذري بحجوم مختلفة وقيل انه أبو الجعل . وكذلك نوع من الجراد الاخضر الذي يعيش بين النباتات يسمونه بفرس النبي .

أما حكايات الثعابين والافاعي التي تحرس الكنوز والبيوت والخرائب فلانها تعيش في الاماكن الاثرية التي خربت لسبب من الاسباب كالوباء أو الفيضان وبقيت تركات اهلها من الحلي وغيره . هذا وان بعض الناس يخبئون اموالهم في الارض في زير أو في السقوف وقد تداهمهم المنية وتبقى الكنوز دفينة فيقولون اذا ما رأوا افعى وخاصة الاسود ويسمونها (العربيد) وهو الذكر بانها حارس على الكنز . ويمكن ارجاع حكايات الافاعي الى اسطورة ننورتا الاله السومري المحارب وكور[٤٠] . والعفاريت الحارسة على شكل حيوانات الى خمبابا حارس غابة الارز .

لقد بينا في قسم الاساطير العلاقة بين الاساطير وبين الحيوان ولماذا خص الانسان الحيوان بالكلام . وما زال المحدث أو راوي الحكاية يقول ان الهوام والبهائم في القديم كانت تتكلم وهناك من يعرف لغتها . وقد سماها باسماء واطلق عليها ألقابا وكناها فالثعلب أبو الحصين والاسد أو السبع أبو خميّس وابن آوى أبو الويو (وأنثاه البعيوة) والحمار ابو صابر والذئب ابو سرحان .

والنوع الثاني من حكايات الحيوان ما له مقاصد ومغاز خلقية وتعليمية فنها ما تتكلم مع بعضها ويسمعها الانسان دون أن تعلم به وبعضها ينبه زملاءه قبل البدء بالكلام ويكشف الاسرار انه يشم رائحة

بني آدم . واذا ما اطمئنت فانها تحدث بعضها البعض كحكاية حامض اللبن الذي خان صاحبه طيب اللبن في زاده وفارقه . فدخل طيب اللبن غارا ليلا تبين فيما بعد انه مجلس البهائم وسمعها تقول : لو يدري بني آدم ان دواء بنت السلطان كذا وكذا لشفاها وقال اخرون لو يعلم ان كنزا مدفونا في محل كذا لاخذه . فيأتي الصباح ويتقدم الى ابنة السلطان بادويته التي سمع عنها ويشفى بنت السلطان ويتزوجها حسب الشرط ثم يروح يجلب الكنز ثم يتنازل السلطان له لانه عجز . ويصادفه صاحبه حامض اللبن ويعرف حكايته ويذهب الى الغار نفسه فتأكله الحيوانات .

اما حكاية «فروة سبع» فتدل على حسن الحيلة والتخلص بالعقل . حيث قيل ان ابن آوى وقع في بئر مهجور ولم يستطع الخلاص فرآه اسد وسأله ماذا تفعل هنا فقال اني اخيط لي فروة . فأعجب الاسد بالفكرة وطلب لنفسه واحدة ورحب ابن آوى بالطلب على شرط ان يأتيه كل فترة بحمل حتى اذا امتلأت البئر خرج هاربا .

وهذا النوع من الحكايات كثير يختار له القصاص مواقف اجتماعية كي يستخلص منها عبرة .

أما النوع الاخر من الحكايات فهي حكاية الحيوانات التي تخالط البشر وتعين الطيبين المظلومين وقد بينا اصولها الاسطورية سابقا في اعتقادهم أن أرواح الموتى تصبح حيوانات أو طيورا . ومن هذه الحكايات حكاية «ست الحسن» أو (سندرلا كما تسمى عند الغربيين) وقد اعانتها في البدء حمامة على حل مشاكلها وعندما يكتشفها الامير فى النهاية ويروم الزواج بها وتخبؤها زوجة أبيها في التنور وتجلب ابنتها العوراء بدلها : يكتشفها الديك الذي يقف على التنور صائحاً : ام عين عورة برة وست الحسن بالتنور .

وهناك حكاية اليتيمة التي أذاقتها زوجة أبيها مر الهوان والجوع

وأمرتها برعي البقرة ولعطف البنت على البقرة فان البقرة تبول لها سمنا وتسرجن لها تمر خستاوي . فينور وجه الفتاة ويتورد خداها وتراقبها زوجة ابيها وتكشف سرها فتأمر بذبح البقرة . ولكن البنت تجمع عظامها وتزرعها وتعود للحياة . وتذكرنا هذه الحكاية بحكاية الوزة والزيطة والزمال (الحمار) الذين اشتركوا في زراعة قطعة ارض ويتناوبون الحراسة ويأتي اخيرهم الحمار فيأكل الزرع . ويأتون صباحا وينكر الحمار فعلته ويلقي التبعة على صاحبيه ويتفقون اخيرا ان يقسموا ببئر وقيل انها بئر زمزم في مكة فتقسم الوزة وتطير وكذلك الزيطة اما الزمال فانه يقع في البئر . لأنه سارق لا يستطيع الطيران . ولكنه لا يموت فتأتي امرأة تستقي فيكلمها الحمار ويتوسل اليها ان تخرجه ويعطيها خصيتيه فتقول له وما نفعها فيجيبها ان تعمل منها أطيب كبة . وتخرجه ويفي بوعده وتعمل الكبة وتطعم جارتها منها فتعجب بها وتسألها عن مكوناتها فتقول لها انها ذبحت عزيز قلبها : أي ابنها . فتأمر الجارة التي لا ابن لها ابنة زوجها ان تنادى اخاها لتذبحه وتقدمه لزوجها (وقد مر هذا الجزء من الحكاية) ولكن اخته تجمع عظامه وتزرعها تحت الحب فينبت «رقية» يخرج منها طائر اخضر يقول : انا طير اخضر ، امشي واتبختر . امي ذبحتني . وابوي اكلني . واختي العزيزة لمت عظامي واحيتني . الى آخر الحكاية .

وهناك حكاية القط وبنت الشواك التي كانت تطعم قطا مما لديهم فكان يمنحها درة . وتبعته بنت الشواك ذات يوم ووجدت ان زوجته تخونه ، بعد ان عاد شابا ونزع ملابس القط . فضربت الزوجة بعظم وفقأت عينها . ثم يروح القط يفتش عن الفاعل ويستعلم الخبر فعرف ان بنت الشواك عملت تلك الفعلة . فيحرق زوجته ويتزوج بنت الشواك .

ومن الحكايات التي تظهر فيها الحيوانات معينا للانسان حكاية

اللصوص الثلاثة والشاه عباس وفيها ثلاث حكايات متداخلة عن الحيوان الاولى عن ببغاء والثانية عن صقر والثالثة عن افعى . وثمة حكاية الام التي لا تلد فتتمنى من ربها أن يهبها ولدا أو أي مخلوق حتى ولو كان ضفدعاً يعين أباه . ويحقق الله امنيتها ويمنحها ضفدعا ولكنه يجلب المشاكل لها ولابيه وللبلدة كلها . وعلى عكسها الام التي تمنت ولو بعيرا ويستطيع هذا الولد البعير ان يتزوج بنت السلطان وتعرف سره فيعود الى هيأته البشرية ومن الحكايات التي يعين فيها الحيوان الانسان اعترافا بالجميل حكاية القابلة التي اعانت القطة على الولادة فنحتها اوراق البصل الاحمر والبصل الابيض واذا به ذهب وفضة .

حكايات الفلاحين والبدو :

كان ابناء المدينة في مجالسهم ومقاهيهم يقرأ لهم قارىء القصة الممتهن (القصه خون) بعضا من فصول قصة عنترة أو ابي زيد الهلالي أو حكايات ألف ليلة وليلة أو شيئا من قصص الانبياء غير ان هذه المقاهي والمجالس اندثرت نتيجة للتقدم العلمي ومنافسة السينما والراديو والتلفزيون والصحف وكثرة القراء .

أما في الريف فما زال ابناؤه يجتمعون ليلا في أحد مجالسهم بعد العشاء لقضاء «التعلولة» يعللون انفسهم بالقصص المختلفة الاهداف لقضاء ليل الشتاء الطويل خاصة ومن جملة الحكايات التي يروونها ماقد تناقلوها أيام كانوا قبائل بدوية ترحل من مكان الى اخر سعيا وراء العشب . وغالبا ما تحدث الخصومات والمعارك فيما بينهم أو بينهم وبين قبائل أخرى تذكرنا أحداثها بايام العرب في الجاهلية كيوم البيضاء ويوم خزاز ويوم المشقر ويوم البيناج والاياد والرحرحان ويوم داحس والغبراء وحرب البسوس : يحكي الفلاحون والبدو عن مآثرهم وامجادهم وحروبهم

ويروون فيها وسائلهم في الغزو أو صده والمناورات التي يقومون بها والرسائل الرمزية التي يرسل الاسير الى ذويه ينبههم فيها ويحضهم على فك اساره أو على اغارة جديدة سيقوم بها اعداؤهم . وتتجلى في تلك المعارك مواقف وبطولات ويدور اغلبها حول الشجاعة والنخوة والاستجارة ودفع الظلم والاعتداء ويبرز فيها القادة الحقيقيون الذين نبذوا أو هربوا من الظلم اما لغضب الاب أو لمنافسة الاخ الاكبر والتجأوا الى عشيرة اخرى ويسمى هذا اللاجيء بالدخيل . وقد يلجأ هذا ولا يفصح عن نفسه فلعل الذي لجأ اليهم اعداؤه وغالبا ما يتنكر وذلك بلبس كرشه خروف في رأسه فيبدو كالاقرع ويسمى الاگيرع ويشتغل لديهم راعيا أو دقاق قهوة أو غير ذلك من المهن التي تعتبر لدى البدو حقيرة غير انه يعيد الثقة الى نفسه عند اغارة عشيرة أخرى وقد تكون عشيرته هو . فيتوسل الى ابنة الشيخ ان تعيره فرس أبيها وسيفه وتوافق فينزع الكرشة ويهجم على المغيرين ويهزمهم ويرد الحلال الى اهله . ويعود ويلبس الكرشة ويرجع كما كان ذلك الاقرع ولكن الشيخ يبحث عن الفارس الحقيقي فيكافوه بتزويجه من ابنته اعترافا بفضله فيكشف عند ذاك عن هويته .

وقد يغير أعداء على القبيلة ويسبون نساءها في غيبة الرجال ولا يرد السبايا الا ذلك المنبوذ الحقير ظاهرا . ولكشفه تتوسل الحكايات (وغالبها ما يكون واقعيا) بطرق لطيفة وغالبا ما تقوم بها ابنة الشيخ أو اخته .

ومن حكايات البدو مغامراتهم من أجل استرداد اخواتهم أو زوجاتهم من أبناء المدن كالتجار والامراء وحتى من المخلوقات الخرافية .

حكاية اللصوص والشقاوات أو الشطار

كثرت هذه الحكايات في وقت انقسام الحكومات الاسلامية والعربية الى دويلات صغيرة وضعف السلاطين والولاة . فالضعيف يحاول ان

يستبد ويجمع حوله الاشرار من اجل السيطرة على الاكثرية بواسطتهم فيكثر الظلم فيخرج من يخرج على القانون ويكثر اللصوص حتى انهم يحاولون الاستيلاء على خزائن السلاطين والوزراء ويحاول السلطان استرضاءهم والكف عن اذاهم عنه وعن حاشيته بمختلف الوسائل الى درجة الاعتماد عليهم في السلطة ويذهب الخيال الشعبي الى ترجيح كفة اللصوص وقطاع الطرق ويزجهم في مغامرات واختبارات تبين مدى امانتهم وشرفهم التي هي صفات الشعب الذي أسبغها عليهم ليظهر تفوقهم على السلطان ورهطه كما في حكاية ولاية بطيخ واللصوص الثلاثة اللتين مر ذكرهما وحكاية فرج حداد التي هي حكاية كاوة الحداد الكردية المعروفة التي انتصر فيها الحداد البسيط على الطاغية وحرر الناس من ظلمه . واذا استدعى الامر فان القوى الخارجية تساعد البطل من هذا الصنف في الوصول الى مبتغاه لانه طيب امين محب لخير الجماعة ضد ظلم الظالمين .

الحكاية الاجتماعية :

الاساس في هذا النوع من الحكايات هو تصوير الاوضاع الاجتماعية ونقد التناقض المنبثق عنها كأمور الزواج بين غني وابنة فقير أو فقير وابنة أمير وشيخ وشابة . والمشاكل الناجمة عن تعدد الزوجات وتعدد الزيجات واليتامى وزوجات الاب ، والبخلاء وتتجلى في تلك الحكايات الصفات الحميدة والصفات الذميمة التي مر ذكرها في باب : البطل . وحلّ تلك المشاكل الفردية بطرق ووسائل نتيجتها دائما في صالح الخير وفي جانب المستضعفين .

أما حكايات ذوي المهن التي يحتقرها ذوو الجاه والسلطان فتبين شرف العمل مهما كان وان فئة الفقراء من الشحاذ أو السماك أو الشواك أو الصياد أو الراعي أو الفلاح او العامل هم المنتصرون

المتفوقون اخيرا وثمة حكايات تبين الصراع بين ذوي المهن والغلبة فيها للمستقيم في خلقه وامانته ، الذكي في افكاره .

والحكايات الاجتماعية هي اكثر أنواع الحكايات عددا . ومنها ما يكون جادا ومنها ما يكون مرحا أو ماجنا خليعا وتحكى من اجل اعادة التوازن الضائع في المجتمع .

ومنها ما له غايات تربوية أو دينية وتركيز تلك المفاهيم .

وتلخيص تلك الحكايات ضرب من المستحيل لكثرتها وذكر اسمائها لا طائلة منه . غير اني سوف اقوم بنشر ما تيسر لي جمعه من هذه الحكايات وغيرها قريبا وقد نشرت قسما منها باللغة الانكليزية .

الحكاية المرحة :

وهي حكايات تعتبر من الحكاية الاجتماعية غير انها اقصر وابسط وأقرب الى الفكاهة وتسخر من التناقض الحاصل في المجتمع جراء التعنت والسخف والغباء والبخل والكذب والمبالغة والصفات القبيحة لدى الناس سواء أكانوا بدوا أو قرويين أو حضريين ، حكاما أو محكومين . وتروى نقدا لتلك الاوضاع أو للعبرة أو التسلية . وغالبا ما تدور حول شخص واحد أو مجموعة من الاشخاص صغيرة يمكن ان توجد في اي زمان أو مكان . وتلك الحكايات لا تعد ولا تحص ايضا . وما دامت المفارقات موجودة في المجتمع فان هذه الحكايات لا تنضب . كتلك التي نسبت الى ابى نواس وجحا وبهلول وهذا الاخير يقال انه عم هرون الرشيد الذي اغتصب منه الخلافة فتظاهر العم بالبهللة والخبال لئلا يقتله . ولكنه راح يلقي نقده وسخريته من الاوضاع الشاذة .

ومن حكاياته ان هرون الرشيد كان ذات يوم على سفر في سفينة وكان معه بهلول الذي ذهب الى جوار السارية وصار يكلمها . فجاءه هرون الرشيد وسأله : اراك تكلم نفسك . ماذا كنت تقول فقال بهلول

والله ما كنت اكلم نفسي ولكني كنت اكلم «الدگل» (السـارية) فسـأله الرشيد وماذا قلت له ؟ فقـال بهلول : قلت له : انت وحـدك العـدل في هذا المكان . ويقصد بالعدل المستقيم

وقيل ان بهلول كان يركب قصبة ويسـير في الطرقات وكانت تلك القصبة حصانه كما يفعل الاطفال - بالمناسبة فان هذه الحكايات اذا ما جمعت ذكرتنا بمغامرات دون كيشوت وصاحبه سانكو بانزا - دخل بهلول على فرسه القصبي الى ديوان هرون الرشيد وجلس على عرشه فهجم عليه الوزراء والحجاب وجميع الحـاضرين وضربوه بالاحـذية وبكل شيء حتىٰ أزاحوه عن العرش . فصار يبكي حـتىٰ جـاء الرشـيد وسـأله : ما لبهلول يبكي ؟ هل من حـاجة نقضـيها له ؟ فأجـابوه : ضربناه لانه جلس على عرشك . فعـاتبهم الرشـيد وطيب خـاطر بهلول ورجـاه الا يبكي .

فقـال له بهلول : انا لا ابكي من الضرب انما انا ابكي عليك . فقال الرشيد وكيف ؟ قال له : جلست على عرشك برهة وجـيزة فاكلت هذا الضرب فكيف بك وقد جلست هذه المدة الطويلة ؟

وقيل ان احد الفلاسفة كان يعظ في البصرة ويقول ان الانسان مخير لا مسير وانه لا وجود لله والا لرأيناه وان النار لا تعـذب الشـيطان وهو من نار . فاخـذ بهلول حجـرا ورمىٰ الواعظ به فصـاح وسـال دمه . فشكاه الى هرون الرشيد . فسأله الرشـيد لماذا فعلت ذلك ؟ فقـال كان يخطب في الناس فاجبته على رأيه . فقـال وكيف ؟ قال ان الواعظ قال ان الانسان مخير لا مسير فاخذت الحجر ورميته به فصاح لانه تألم فشـعر بالالم ولم يره كالله الذي لا يراه رميته بحجر من طين فتألم وهو من طين .

وقيل انه دخل سوق القصابين وصـار يحـدق في الخـرفان المعلقـة وقال : (صَحيح كل لشه معلگه من كراعها) .

وقيل ان احـد التجـار نوىٰ الذهاب للحـج الى مكة المكرمة فأمن بعض المال لدىٰ القاضي فلما عاد التاجر ادعىٰ القاضي ان الامانة أكلتهـا الفئران فاخذ التاجر يبكي ومر عليه بهلول فعـرف امره فقـال له لا تبك سـوف اعيدها لك غدا . ذهب بهلول الى هارون الرشـيد وصـار يبكي ويقول له : لقد وليت فلانا الامارة الفلانية وفلانا الامارة الفلانية فسأله الرشيد وماذا تريد أنت ؟ ارـــيـد امارة الفئران ! فقال الرشيد اعطوه امارة الفئران قال بهلول بل اريد ان تصدر مرسوما بذلك وتعطيني خصانا وحرسا وجـوقة موسـيقية . فامر له بما أراد وخـرج بهلول على فرســه والجوقة تعـزف وراءه وامامه وتبعـه الصـبيان وضـحك الناس لما عرفوا أمره . ووصل بهلول الى بيت القاضي. وامر عماله ان يحفروا تحت جدار البيت فخرج القـاضي وسـأله ماذا تعمل يا بهلول ؟ فقـال بهلول ألسـت أمير الفئران . ان فأرا أكل مني ليرة ذهبا ودخل تحت جدارك واني أريد ان القي القبض عليه . فسـأله القـاضي : يا بهلول وكيف يأكل الفـأر الذهب ؟ فأجابه : كما اكلت الفـئران ذهب التاجـر . فاما ان تعيدها له وأما أن اهدم عليك الدار . فاعادها الى صاحبها .

وقيل انه كان لرجل بقرة ولاخر فرسـا ولدتا ولكن صـاحب البقـرة طمع في المهرة فوضع عجله تحت الفرس ووضـع المهـرة تحـت البقـرة . فاشتكوا لدىٰ الرشيد الذي حكم لكل بما تحت دابته . ويتدخل بهلول ويأخذ فراخ الدجاج الذي رباه بنفسه من حـين فقسـه فتعلمت الفـراخ عليه وراحت تتبعـه اينما ذهب . فدخـل ذات يوم على الرشـيد فسـأله الرشيد ما هذه ؟ فقال هذه اولادى . فقال له كيف يكون للانسان فراخ دجاج ؟ فقال : كما يكون للفـرس عجـل . وفطن الى حكمـه وضـحك واعاد المهرة الى صاحب الفرس .

الى غير ذلك من الحكايات المرحـة ، وهي السـائرة الى يومنا بين

الناس .

والحكاية الاجتماعية والمرحة تدوران حول محورين مهمين هما العجوز والساحرة في قلب الامور وجعل التناقض حديا .

الحكاية الرمزية وحكاية الالغاز :

وهي اما ان تكون قصيرة جدا أو متوسطة الطول ولها اغراض منها الاختبار ووضع الشخص المعتد بنفسه موضع الاحراج أو أن لها وظيفة اجتماعية نقدية أو تفسيرية أو للتسلية . ويمكن ان تعد بعض حكايات بهلول من هذه الحكايات .

ومن هذه الحكاية حكاية ابن السماك الذي اوصاه والده ان يهتم بالشبكة التي ألقاها في النهر الى حين عودته . اخرج الولد الشبكة فوجد فيها بزا (سمكة كبيرة) وكلمه البز وتوسل اليه ان يطلق سراحه وسوف يعطيه شيئاً ثميناً . فاطلقه الولد . ولما جاء الاب غضب على ابنه لما علم بالامر وطرده من بيته فخرج الولد يفتش عن عمل فصادفه في الطريق ولد أعور طرده أبوه أيضا واشتغلا بصبغ الدور وزخرفتها ووصلا الى بلدة ابنة سلطانها لا تستطيع ان تتكلم وقرر السلطان ان من يجعل البنت تتكلم يزوجها له ويعطيه مالا . فتقدم الاعور وقال انا استطيع ان اجعلها تتكلم . فتقدم الاعور الى الحاضرين بحزورة وقال : كان ثلاثة اشخاص وعندهم ابنة عم تنازعوا من اجل الزواج بها . وقالت لهم انا اتزوج الذي يجلب مالا كثيرا فخرجوا طلبا للرزق ووصلوا الى مكان مرتفع تفرق الى ثلاثة قرىً ذهب كل واحد الى قرية فحصل احدهم على قفة والاخر على مزمار والثالث على خاتم . ونظر صاحب المزمار في مزماره فرأىٰ ابنة عمه مريضة واخبر صاحبيه . وعرض عليهم صاحب القفة ان يركبا معه فهي تستطيع ان تقطع المسافة الطويلة بمدة قصيرة ولما وصلوا اعطىٰ صاحب الخاتم الخاتم الى البنت فشمته وشفيت . وتنازع

الثلاثة حول احقيته بالبنت فصاحب القفة يقول لولا قفتي لما وصلنا وصاحب المزمار يقول لولا مزماري لما رأيناها وصاحب الخاتم يقول لولا خاتمي لما شفيت .

وجه الاعور السؤال الى الحاضرين : فقولوا ايها الحاضرون من هو احق بها . ولم يستطع أحد الجواب . فضحكت البنت وقالت الحق مع صاحب القفة : فاعطى الوالد ابنته للاعور ولكن المجتمعين احتجوا انه غريب وطلبوا منه ان يكلمها ثانية فعرض عليهم الحزورة الثانية وهي انه كان أربعة أشخاص على سفر وهم نجار وخياط وصائغ ومؤمن ووصلوا غابة فيها حيوانات كثيرة مفترسة فاتفقوا ان يقسموا الليل فيما بينهم للحراسة . فبدأ النجار . وفكر النجار كيف يمكنه ان يقضي الليل دون ان ينام فقال احسن شيء أن أقوم بعمل شيء فاخذ خشبة وصار ينحت هذه الخشبة على هيئة انسان بشكل امرأة لها كل اعضاء البشر . ولما انتهت مدته اجلس الخياط وتسلم الخياط الحراسة ولما رأى الخشبة المنحوتة على شكل امرأة قال في نفسه خير لي ان اخيط لها ملابس لاقضي وقتي يقظا وانقضت مدته فجاء دور الصائغ فالبسها كل ما تحتاج من حلي وانقضت مدته وجاء دور العابد المؤمن أخيرا . فرأى هذه الخشبة جميلة بدون روح ولما حان موعد الصلاة صار يبتهل الى الله ان يمنحها روحا فوهبها الله روحا واصبحت امرأة حقيقية . وعندما أصبح الصباح تنازع الاربعة كل يدعي انه صاحب الحق . فوجه الاعور السؤال مرة اخرى للمجتمعين ولكنهم لم يستطيعوا الاجابة . فقالت بنت السلطان الحق مع العابد الله .

فلما كلمها مرة اخرى استحقها الولد الاعور . واعطاه والدها معها هدية من المال . ورجع الاعور وصاحبه الى اهلها ووصلا الى المكان الذي التقيا فيه . وقال الاعور لصاحبه ابن السماك : تعال يا اخي

نقسم المال بيننا وما حصلنا عليه . فاعطاه البنت والمال فقال له هذا حقك وانا لا اريد شيئا . الم اقل لك اني سوف انفعك انا ذلك البز (السمكة الكبيرة) الذي اطلقته من الشبكة ؟ فذهب الولد الى ابيه ووجده ما زال سماكا فقيرا . ونفحه بالمال وقال له كل هذا المال وهذه البنت من فضل البز الذي القيته في الماء .

حكاية الامثال :

بعض الامثال في الاصل حكايات[1] غير انها من كثرة ترديدها وكثرة الاحداث المشابهة لها عمت واصبحت معلومة لدى المجتمع صغارا وكبارا فألحت عليهم ووضعوا لها كلاما موجزا منغما مطابقا لحالها حسب اهميتها لهم . فلكون الاحداث معروفة من الجميع فلا داعي ان تعاد برمتها انما كما قلت تختصر بكلمات قليلة مؤثرة وتذهب مثلا فيقال «صدكك لو گالوا» .. ويضرب المثل . ومن الامثال التي لها حكايات :

ولاية بطيخ . فروة سبع . المايرضه بجزة جزة وخروف . العنجلية ليوره . النار فاكهة الشته . اليدري يدري والمايدري كضبة عدس ، براسه صوت وصاحه . بيت الچذاب احترگك ومحد صدكك . تريد ارنب اخذ ارنب ، تريد غزال اخذ ارنب . ثور معمم . اللي يقول الحق طاگيته منكوبة . حكم قره قوش . زمر ابنج يا عجوز . شفناك فوگك وشفناك جوه . قنعوا حجي احمد اغا . مگدر اگولن بغلتي ببريجي . مال الماي للماي ومال اللبن للبن . ابن عم النعلچي النعل بابوج العروس . عرب وين طنبورة وين . جرادة بلت عصفور . اگله مانى حمد يگلي انت حمد . الف الا واحد ميصير . الله اقل صبره اربعين سنة . واوى اعمى . ان اقبلت باض الحمام على الوتد وان ادبرت بال الحمار على ابن اسد . هذا ضرب اهل الدجاج بعد ضرب اهل الهوش . اواعدك بالوعد واسگيك يا كمون . شباط نايم بالمراح . كله انخلق الا الزلق . تستحي

من عصافير النبگه . بنت الذلول ذلول . تجذبني وتصدگك بالزمال . تنبل ابو رطبة . جزاء الاحسان بكان . حيل اكو جرعة ماكو . خسارة ماكو خسارة ، لو المرة لو الحمارة ، الخير لبو خضير والزبل عالخانجي . عزيمة الحصيني واللكلگك . قيم الركاع من ديرة عفج . اقبض فلوسك من دبش .

وغير هذه من الامثال التي لها حكايات تستوعب مجلدا اذا ما كتبت .

هوامش :

(١) أحمد أبو سعد ، فن القصة ، دار الشرق الجديد بيروت ١٩٥٩ ص ٨٤ ، فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ، عصر التجميع الدار المصرية ص ٨٣ وأماكن اخرىٰ .

(٢) Robert Graves. The Greek Myths. 1 p. 12.

(٣) كاظم سعدالدين في الحكايات الشعبية العراقية المثقف عدد ٣٠ كانون أول ١٩٦٢ ص ٢٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٦ .

(٥) عبدالحميد يونس - الحكاية الشعبية - المكتبة الثقافية - مصر ١٩٦٨ ص ١٣ . رشدي صالح - الفنون الشعبية - المكتبة الثقافية - مصر ١٩٦١ ص ٤١ .

(٦) طه باقر - ملحمة كلكامش - الثقافة الشعبية - وزارة الارشاد ١٩٦٢ ص ٨ .

(٧) جعفر الخليل - القصة العراقية قديما وحديثا - ط الانصاف بيروت ١٩٦٢ ص ٥٧ .

(٨) طه باقر - ملحمة كلكامش ص ٢١ .

(٩) A.J. Evans, The Penguin Herodotus. 1941.

(١٠) Sir Leonard Woolley. A. Forgotten Kingdom. Pelican Books, 1953. P. 180.

Samuel Noah Kramer, Sumerian Mythology Harper. U.S.A., 1961. PP. V II, VIII 14, 13.

(١٢) E.J. Thomas and H.T. Francis. Jataka Tales. Jaico Pub. House, Bombay, 1956, PP.IVI.

(١٣) Geoffrey Brereton. Fairy Tales, Penguin Classic L. 69. 1957. P. XI.

(١٤)المصدر السابق ص XXXII

(١٥) Lin Yutang, Fambous Chinese Short Stories. Pocket Book. U.S.A., 1953. P. 211

(١٦) Geoffery Grereton. P. X.

(١٧) كاظم سعدالدين في الحكايات الشعبية العراقية ص ٢٦ .

(١٨) المصدر السابق ص ٢٦ .

(١٩) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٢٠) الدكتور كامل الشيبي : رسالة الغفران مجلة البلاغ الكاظمية ١٩٦٩ عدد ٩ ص ٧٧ .

(٢١) كاظم سعدالدين - الطيور في الادب الشعبي - التراث الشعبي ج ٢ عام ١٩٦٦ لتفسير بعض الظواهر التي تخص الطيور مثلا كطوق الحمامة وقفزات العصفور وغيرها .

(٢٢) د . عبدالحميد يونس - الحكاية الشعبية ص ٣٠ .

(٢٣) د . طارق مظلوم . ملاحظات حول خريطة الشرق الاوسط - المثقف العربي سنة ٣ عدد ٤ ص ٩ .

(٢٤) د . عبدالحميد يونس - الحكاية الشعبية ص ٤٦ .

(٢٥). رأي الاخوين جريم G. Brereton, Fairy Tales. P. IX.

(٢٦) طه باقر - ملحمة كلكامش ص (٦٠)

(٢٧) المصدر السابق ص ٥٨ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٢٩) هوك - الاساطير في بلاد ما بين النهرين - ترجمة يوسف عبدالقادر - بغداد ص ٥٠ .

(٣٠) S. Kramer. Sumerian Mythology, P. 86.

(٣١) E.J. Thomas. Jataka Tales. P. J.

(٣٢) جيمز فريزر - ادونيس ترجمة جبرا ابراهيم جبرا بيروت ١٩٥٧ ص ١١ - ١٣ .

(٣٣) عبدالحميد العلوجي - من تراثنا الشعبي - السعلاة ١٩٦٦ بغداد ص ١٠٦ .

(٣٤) د . عبدالجليل الطاهر - المثقف - بغداد عام ١٩٦٣ عدد ٣١ ص ٩٦ .

(٣٥) كاظم سعدالدين - في الحكايات الشعبية ص ٢٦ راجع ملاحظة ١٨ حيث سبق الاشارة الى هذه الفكرة .

(٣٦) كاظم سعدالدين - الطيور في الادب الشعبي ج ٢ سنة ٣ عام ١٩٦٦ ص ٥٨ .

(٣٧) طه باقر - ملحمة كلكامش ص ٧٠ هامش ١١ .

(٣٨) كاظم سعدالدين - الطيور في الادب الشعبي ص ٦١ .

(٣٩) طه باقر - ملحمة كلكامش ص ٩٨ و من اللوح سومر تأليف كريمر ص ٢٥٤ .

(٤٠) S.N. Kramer, Sumerian Mythology. P. 76.

(٤١) كاظم سعدالدين - في الحكايات الشعبية - المصدر السابق ص ٢٧ .

(٢)
الحكايـة الشعبية العـراقية وعلاقتها بالحكايات الأجنبية

ان ميدان الحكايات الشعبية واسع الى ابعد مدىً ، عميق الى ابعـد غور ، بل الى حد مذهل ، فهذا الميدان واسـع لأنه يشـمل جميع انواع الحكايات من الاساطير المتعلقـة بالخـوارق من الاشـخاص والقـوى الطبيعية وهو ما يعرف بـ (مايث MYTH) أو المتعلقة بالابطال والقادة والتي تعـرف بـ (لجند LEGEND) وحكاية الحيوان والحكايات الخرافية ، وحكايات الجان ، وحكايات الالغاز ، والنوادر ، والملاحـم ، والسير وغيرها .. الى ابعد العصور التاريخية ، نقصـد بذلك السـومريين والبابليين والاشوريين وكل من جـاء بعـدهم ، والدول التي تناوبت على دخول العراق تجارة او فتحا من يونان وفرس وغيرهم ، والهجـرات التي وصلت اليه ، والجيوش التي عبرت اراضـيه ، والفتوحـات التي قام بهـا سكان العراق للبلاد الاخـرى ، والعـلاقات التجـارية والسـياسية التي عقدوها مع غيرهم ، مرورا بالفتح الاسلامي العـربي ، الى مكانة بغـداد في تلك العلاقات العالمية .

فعلى هذا تترتب دراسة كل تلك الحقب ، دراسة ميثولوجية

واجتماعية ليتسنى لنا الوقوف على الارث الذي خلفه اولئك في الموروث الحالي للحكاية الشعبية العراقية ، واثرها في غيرها - قديما وحديثا والعلاقات التي تربط بينها ليكون ذلك مدخلا الى دراسة تلك العلاقات بصورة اقرب الى الواقع العلمي .

اول مايتبادر الى الذهن من ذلك علاقة الحكاية الشعبية العراقية بالحكايات الاجنبية : الامم صاحبة العلاقة واقربها من حيث الموقع الجغرافي والتاريخي ، الفارسية والتركية والهندية والصينية ، واليونانية ، والمصرية ، وسترى انها تصل الى ابعد ارجاء الأرض ، وانك لتجد نماذج من الحكايات في طول الارض وعرضها متشابهة مع أختلاف بالجزئيات حسب ما يتطلبه الظرف الاجتماعي او الثقافي او الديني او غيره للمنطقة .

يتفق المؤرخون على ان التاريخ بدأ في العراق في سومر ، بحيث ظل خالدا اكثر من اربعة الاف سنة دون تغيير ، وقد سبق كل ما عرفت حضارات الارض من ادب بما لا يقل عن الف عام كالأدب الكنعاني ظهر في ١٤٠٠ ق. م ، والعبري في القرن السادس ق. م ، وان الالياذة والاوديسة اليونانيتين ، والركفيدا الهندية ، والافستا او الابستاق الايرانية القديمة لا ترقى الى ما قبل النصف الاول من الالف الاول قبل الميلاد ، فالادب السومري يسبقها باكثر من الف عام وهو علاوة على ذلك لم تمتد اليه ايدي النساخ والمؤلفين بالتحوير والتغيير على مر السنين كما حصل للالياذة والاوديسة والركفيدا والافستا[1].

هذا ولما اضحت الآلهة البابلية وكل عالمها تحت الارض فانها لم تندثر بل ظهرت في اديان منطقة البحر الابيض المتوسط ، والمعتقدات الغنوصية ، وتحول الابطال ايضا وظلوا مخلدين ، ينتقلون غربا وشرقا كذلك ، وقد لوحظ كلكامش في اسكندر العصور الوسطى ونقلت بعض

مغامراته في كثير من السير ، ولعله لا يزال وراء سينون الويلزي واوين وايفن ، وسيركوين الباحث عن الكنيسة الخضراء في غابة الشتاء الشمالية بأشجارها البلوط ، وطحالبها التي تغطي الارض ووراء درموت الذي حارب «الانسان الوحش» في النبع الذي منه الطريق الى العالم الذي تحت الامواج ، لعل وراء ذلك كله بلد الاحياء السومري ، غابة الارز وجبل الفضة ، وامانوس (شمال سورية) وعيلام في (ايران) ولبنان ، ان تلك حكايات فولكلورية وسير تعود بأصلها من بلاطات العصور الوسطى وعن طريق الاساطير الكلتية ومجموعة الاغاني والقصائد الى سومر القديمة ، وبرغم ان البطل السومري ليس اوديسيوس القديم ولا هرقل ، ولا شمشون ، ولا درموت ، ولا كاوين ، غير ان من الممكن ان أياً منهم لن يذكر بالطريقة التي جاء بها ، لو ان قصة كلكامش لم تكن في الوجود[٢].

ومن الممكن تاريخيا ان يستمع الشاعر مؤلف الاوديسة الى قصة كلكامش بصورة غير محرفة بل بشكل مباشر ، لأن السفن من ايونيا والجزر كانت حركة تجارية مع الساحل السوري ، وفي الميناء وطرطوس كان الاغريق على الاتصال بالاشوريين[٣]، وكان سكان العراق على اتصال ايضا بالحيثيين في الاناضول ، فلا عجب ان يسكن كلكامش وانكيدو وخمبابا العالم نفسه الذي سكنته آلهة الأناشيد الهومرية واناسها ، وثيوغونيا هسيود عن اصل الآلهة ، والاوديسة[٤]وقد بلغت الرحلة هذه الى حد الصراحة في ذكر اسم كلكامش لدى الكتاب اليونانيين ففي عام ٢٠٠ ق.م كتب ايليان باللغة الاغريقية عن كلكامش البابلي يبين قصة ميلاده غير مختلفة عن تلك التي كتبها بيرسيوس وسيروس[٥].

ويظن ان هناك عناصر من هذه الملحمة قد دخلت في الحكايات

الشعبية الفارسية وفي مجالات أخرى ، ولا تخلو كتابات الشرق الادنى والبحر المتوسط من تأثر بها[٦].

يتحتم على الباحث لكي يكون أكثر دقة ووضوحا ان يأخذ بمبدأ التفصيل من أجل المقارنة قدر الامكان في نماذج وجزئيات الحكايات التي يمكن ان تكون موضوعا للبحث المقارن .

يقول جوردن تشايلد : كانت بين المصريين في مرحلة حضارة جرزة وبين السومريين فيما بين النهرين في مرحلة حضارة الوركاء علاقات تجارية ، اذ ان الاثنين كانا يستوردان اللازورد من افغانستان ولابد ان تمر القوافل بسهل دجلة والفرات في طريقها الى النيل ، وعند نهاية مرحلة حضارة جرزة وجدنا ان الفنانين المصريين بدأوا في استخدام الموتيفات (الجزئيات) والرسوم التي كانت شائعة ولمدة طويلة في بلاد ما بين النهرين[٧]، ولابد أيضا ان انتقل تراث فولكلوري من سومر الى مَصر كالأساطير والملاحم والحكايات مما دفع علماء الدراسات الاسطورية الى القول ان النبتة الاولى لاسطورة الاله الممزق اوزيروس قد جاءت مصر من منبتها الاصلي ، عند هؤلاء السومريين[٨].

فقد عثر على ثلاثة اشكال لقتل التنين ، وهو ينسب للقديس جورج او مار جرجيس في الاساطير المسيحية ، ولهرقل وبرسيسوس بن زيوس الذي قتل الميدوسا في الاساطير اليونانية ، وكذلك بالدر وبيوولف في اساطير اوربا الشمالية ، ويعلم من ملحمة كلكامش بقتله للتنين بعد اختطافه الالهة ايرشيكال الهة الظلام[٩].

يلاحظ في معتقدات سكان وادي الرافدين كثرة الالهة الخيرة والشريرة ، فهم اذن اسلاف الجن الخير والشرير في تراثنا وتراث البلاد المجاورة وغيرها ، ويعطينا انتشار النصوص المستحدثة (VARIANTS) كامل الحق في ان نعتبر حكايات الجان ، أثرا من آثار العالم القديم حملته

الى اندونوسيا تيارات الثقافة الهندوكية والاسلامية ، ثم حمله العرب الى شرق افريقيا وحمله الهولنديون الى جنوب افريقيا واذاعه المستعمرون الاوربيون في العالم الجديد[١٠].

ان نصوص حكاية ذي اللحية الزرقاء او قاتل زوجته أو زوجاته المنتشرة في انكلترة وجنوب شرق اوربا لها علاقة بالوحش في نص اغريقي باسم (سلطان العالم السفلي) أي الموت وكذلك قصة كيوبيد وبسايكة ، الفكرة التي تشتمل على هذه النصوص اشاعتها اسطورة اغتصاب الحور واطلاق عرائس الموت على العذارى اللاتي يمتن قبل الزواج ، وفي هذه الاساطير القديمة والمستحدثة تظهر فكرة الابواب المحظورة وغيرها من المحرمات وتمكن مراجعتها ومقارنتها في ملحمة كلكامش وخصوصا ما يخص تموز ورحلة كلكامش من اجل سر الخلود[١١].

ان النصوص المستحدثة لحكاية الساحرة الهوميرية كيركة تنحدر من بعض الاساطير وتترامى هذه النصوص في منطقة تمتد من ساحل بريتاني الى منغوليا وتتخذ من الشرق الادنى مركزا لها ، انتشرت هذه الحكايات من الشرق الادنى في مرحلة سابقة على تأليف الاوديسة . وقبل ان تتحول هذه الحكاية الى حكاية جان تصرع البطلة عشاقها السابقين حين تملهم ، ومثل هذا الإتهام يوجهه البطل الى الالهة عشتروت في ملحمة كلكامش[١٢].

اما كيركة فهي الصيغة الادبية لحكاية قديمة كانت الساحرة تسخط عشاقها ، وهذه الحكاية ذاتها اشتقت من حكاية من بين النهرين تقص كيف ان الالهة الام عشتروت مسخت عشاقها[١٣] وسوف نأتي على هؤلاء العشاق وكيف مسختهم .

وهناك نص روسي مستحدث من هذه الحكاية يعدنا بدليل حاسم

يثبت صحة الاستنتاج هذا من ان حكاية كيركة تنحدر من اسطورة عشتروت .

اسم البطلة الروسية (مارينا) يقابله بيلاجيا اللاتيني ويقابله اسم (الآلهة الام) السامية التي كانت حامية للبحارة وطائرهن جميعا الحمام المقدس[١٤].

وقد تهاجر الحكاية الى اماكن عديدة برا وبحرا ، فتحصل فيها التغيرات المناسبة فالحكاية السابقة عن كيركة التي بينا ان اصلها عراقي انتقلت مباشرة من بلاد الاغريق الى الهند والى سيلان بحيث صار النص السيلاني المستحدث من هذه القضية اشد قربا الى النصوص الهومرية ، من كافة النصوص المستحدثة الاخرى المعلومة سواء أكان مدونا أو ما كان متوارثا بالرواية الشفاهية[١٥]. فالقصص الشائعة عن امير اسير - او اميرة اسيرة - ينحيه مارد ثم يوقظه او تحرره امرأة ، او يحرر الامير رجل ، منتشرة في الهند والبلقان وشمال افريقيا وايسلندة[١٦]، لا يختلف في كونها جميعا تعود الى عشتروت التي مسخت عشاقها او غضبت عليهم ، ومنهم تموز ، فرغم تضارب الآراء بسبب دخول تموز الى عالم الاموات وطريقة عودته وفدائه ، فاننا في قصته تلك ونزول عشتار اليه من اجل تخليصه او لأسباب أخرى ، نجد جزئيات كثيرة ما زالت موجودة في حكايات العالم اجمع منها المسخ والفداء ، والممنوعات والشروط ورش الماء على الممسوخ او ما شابه ذلك وعودته الى حالته الاولى وتحول تموز الى حية[١٧]،ومرة اخرى يتحول الى غزال لدى اخته التي تخلصه من شياطين العالم الاسفل بافتدائه بنفسها[١٨].

وكلنا يعرف قصة الفتاة وأخيها الصغير اللذين هربا من زوجة ابيهما، وفي جزئية من جزئيات الحكاية تحول الساحرة الصبي الى غزال (او الى عنز صغير) ثم تستطيع اخته اعادته من اعماق الماء[١٩].

وما دامت النصوص السومرية والبابلية تعتبر الاصل فلا ارى بأسا من ان ابين ان هنالك نصوصا لملحمة كلكامش ترجع الى عصور قديمة ، فقد عثر على اجزاء منها مكتوبة باللغات الحيثية والاكدية والحورية في الاناضول ، ووجدت نصوص عن اساطير غيرها في مصر[٣٠].

ولكي يسهل علينا البحث المقارن يمكن ان نبين بعض النماذج القديمة حسب التحليل المورفولوجي عند (بروب) ليسهل علينا معرفة الوظائف التي تسير في نطاقها الحكايات الخرافية ، ولأجل تبيان بعض الجزئيات في هذه النماذج[٣١]، وفي النماذج السائدة في العالم وفي البلاد العربية والعراق غير اني سأذكر هذه الوظائف او العناصر بترقيم لا يلتزم بترتيب بروب لها .

عرضت عشتار حبها على كلكامش ، لكن كلكامش رفض حبها ذاكرا لها سوء المصير الذي جلبته الى عشاقها[٣٢].

١ ـ ظل زوج شبابها تطارده المردة وتعذبه ، فتحول الى حية مرة والى غزال مرة اخرى .

٢ ـ الشقراق اصبح طائرا مكسور الجناح يصيح شاكيا : واجناحاه ، في الاغنية الشعبية العراقية يرد العتاب «تكسر جناحي ليش ؟» .

٣ ـ عشيقها الثالث اسد يقتفي الناس أثره ، هناك حكايات كثيرة يرد فيها البطل ممسوخا الى أسد .

٤ ـ الرابع مسخ فرسا يضربه الناس بالسياط ويحزونه عليه ان يركض سبع ساعات مضاعفة ، وان يثير الماء قبل الارتواء ، في هذه الجزئية تعليل لركض الحصان وإثارته الماء وتكديره قبل الارتواء ، ويرد هذا الشيء في حكاية المتجولين عند الاخوين جريم .

٥ ـ الخامس هو الراعي الذي مسخته ذئبا يقتفي أثره الرعاة وتطارده الكلاب وتعضه وفي كثير من حكايات الجن يتحول البطل الى ذئب

ويعتقد ان الجن في احدى صورهم ذئاب ، ويمكن للساحرة ان تكون ذئبا .

٦ ـ البستاني الذي جعل مائدة عشتار عامرة مسخته ضفدعا ، وهناك حكايات كثيرة عن الابطال الضفادع[٣٣]، للعرب تراث هائل في الممسوخات وله حكاياته فعشتار اذن إحدى الساحرات العجائز ، كان لديها مقدرة في مسخ الانسان او الحيوان في صورة أخرى أو تسليط العذاب الأبدي عليه ، قد يمسخ في صورة حصان تمتطيه العجوز ، وهذا عمل من اعمال الساحرات ما زالت الحكايات الاوربية وغيرها تحكي عن الحصان المسحور الذي يطوي السماء ويطير ، وقد يظهر للبطل بمجرد حرق شعرة من شعراته الثلاث ، فالجزء ينوب عن الكل .

هنالك أيضا رحلة كلكامش من اجل ماء الحياة او عشب الحياة الى اوتونبشتم[٣٤].

١ ـ في نهاية العالم تلتقي الارض بالسماء .

٢ ـ بوابة تشرق منها الشمس وتغرب .

٣ ـ يحرسها انسان عقرب مع زوجته .

٤ ـ يحذره من المضي في رحلته الى جده الاكبر .

٥ ـ اصرار كلكامش .

٦ ـ يقدمان له نصيحة طيبة .

٧ ـ يسير في الظلام .

٨ ـ يصل حديقة تتدلى من اشجارها احجار كريمة بدلا عن الفاكهة كأنها الجنة .

٩ ـ وراء الحديقة بحر .

١٠ ـ الآلهة تمنعه من المضي .

١١ ـ يهددها كلكامش فتذعن .
١٢ ـ تحذره .
١٣ ـ مخاطر في بحر الموت .
١٤ ـ نوتي اوتونبشتم يقدم له المساعدة ، يعبر به البحر .
١٥ ـ يصل الى اوتونبشتم .
أ ـ يقول له اوتوبنشتم انه لم يحصل انسان على الخلود .
ب ـ الا اذا قاوم النوم ستة ايام وسبع ليال .
ج ـ توسلت زوجة اوتونبشتم الى زوجها ان يساعد كلكامش مرتين .
١ ـ مسألة الخبز وحمله لكي يستطيع ان يغالب المصاعب .
٢ ـ اعطاه اوتونبشتم سر الخلود وهو عشب في قاع البحر .
د ـ الحصول على العُشب .
هـ ـ سرقة الحية لذلك العشب .
و ـ عودة كلكامش خائبا الى العالم الارضي .
ز ـ موته .

هذه الوظائف والعناصر ما زلنا نصادفها حتى اليوم في مجموعها في الملحمة وكذلك في الحكايات الخرافية البدائية والحكايات الاوربية وفي حكاياتنا العربية وغيرها :ـ

١ ـ في نهاية العالم تلتقي السماء بالارض .
٢ ـ في نهاية العالم بداية تشرق منها الشمس وتغرب .
٣ ـ هناك عند الباب كائن هائل يحرسها .
٤ ـ الطريق إلى العالم الآخر محفوف بالمخاطر .
٥ ـ المكان يسوده سحر رائع[٢٥].

اما الغاية من الرحلة في مثل هذه الحكايات فقد تكون :

١ ـ الحصول على الخلود او ماء الحياة او عشب الخلود ، او الخلود على آلة تساعد البطل على التغلب على مصاعب سابقة .

٢ ـ الوصول الى كائن مرغوب فيه ، زج به في مكان خطر او في العالم الآخر .

٣ ـ تخليص ميت من العالم الآخر .

ففي رحلة كلكامش الى العالم الآخر ربما اراد اضافة الى حصوله على الخلود ان يعيد صديقه انكيدو الى العالم الدنيوي ، كما فعل اورفيوس ويمر بالخطوات البنائية للحكاية نفسها ومنها :ـ

١ ـ السؤال عن الطريق .

٢ ـ الحصول على المساعدة .

٣ ـ عطف سيدة شفوق ، جدة الشيطان او ام العفريت او زوجته او أخته .

٤ ـ يفشي العفريت السر ، او يبدي المساعدة نتيجة لتوسلات تلك المرأة

٥ ـ تمتلك الحية سر الخلود . .

٦ ـ الطلب الى البطل القيام بعمل معين كالسهر اياما وليالي .

٧ ـ تحذيرات للبطل : عدم ارتداء الملابس النظيفة ، او لبس نعلين . او استعمال العطور او حمل السلاح وبعكسه فالموت مصيره[٣٦] .

ولعل منحمة كلكامش استحدثت مادتها في بابل القديمة من ثروة هائلة من حكايات هائلة استمد منها مؤلف الملحمة مادته هذا وتشير حكايات الشعوب البلقانية والرومانية والمجرية حتى اليوم الى اتفاق عجيب بينها وبين هذه الملحمة القديمة ، بل بينها وبين حكاية الاخوين المصرية[٣٧] .

وقد تركت ملحمة كلكامش أثرها في بعض الآداب التي ظهرت بعد

ذلك بمئات السنين ومن المحتمل ان تكون القصة القديمة عن رحلة الاسكندر نبع الخلود قد تأثرت بها ، وهناك من يعتقد ان قصة الاسكندر انتقلت بعد ذلك من بيزنطة الى اوربا في روايات متعددة وصور ادبية محورة[٢٨].

فحكايات الاسفار والرحلات الى العالم السفلي اصبحت كثيرة منتشرة في اماكن كثيرة من العالم تقتفي اسفار كلكامش وعشتار كالاوديسة واساطير افروديت وادونيس والاسكندر ، وفي بلاد الشمال الاوربي اسطورة ثور ، رحلة اوديسيوس الى العالم السفلي والى الحورية كاليبسو وإلى شعب فيكن ، الالياذة ، حكايات ارجونت ، النبلنجنليد بما فيها من مباريات ومعارك مملة رتيبة[٢٩].

تتفق كثير من العناصر في اسفار العالم السفلي في ملحمة كلكامش وفي غيرها ، فكلكامش خاب في الحصول على عشب الحياة اذ سرقته منه الحية ، كذلك نرى الام تنتالوس في العالم السفلي حيث يتمكن من الحصول على الاشياء التي يشتهيها وهي في متناول يده ، فقد وقف في الماء حتى ركبتيه فيجف الماء اذا ما اراد تناول جرعة وفرت الفاكهة كلما حاول تناولها ، وفي الحكاية الالمانية (صاحب العين الواحدة وصاحب العينين وصاحب العيون الثلاث) حيث تنزع الاخوات الثمار وتبعدها عن الاخت الطيبة ، والحكايات الهندية عن الذي يجب ان يمسك بطائر ميت يعود للحياة حال لمسه ، وفي الاوديسة تظل النسور تنهش تيتوس ولم يستطع تيتوس ان يبتعد عنها ، اما اكسيون فتوثق يداه ورجلاه في عجلة ، ويتحتم ان يدور معها في حركة سريعة ، وهناك اسطورة سيزيف والصخرة[٣٠] وغيرها من الحكايات والاساطير .

لقد نجح العالم الفرنسي سنتيف في ان يستنتج حكايات بعينها من الطقوس القديمة ومن احتفالات الجماعات البدائية ومواكبها ، فبعض

الفقرات مثلا في حكاية سندريلا تشبه فقرات أخرى في حكاية دورمينا التي يسمع عنها عند البحث عن احتفالات سكايا البابلية[٣١]، وحكاية سندريلا تقابل حكاية صاحب العين الواحدة وصاحب العينين وصاحب العيون الثلاث ، فالقصتان تتضمنان موضوع زوجة الاب الحقود والاخوات الحاقدات ، وقد اشارت الباحثة الانكليزية مس كوكس الى ما يقرب من ثلاثمائة نص لسندريلا[٣٢] او أكثر من ذلك في نصوص مختلفة في رقعة تمتد من ارلندة الى الصين[٣٣].

ان الكثرة من النصوص المستحدثة المتواترة من انحاء العالم القديم تردد صورة الوشاح الذي زخارفه الارض بحيوانها وطيرها والبحر باسماكه والسماء بنثارها من النجوم ، تعود فكرة الوشاح الكوني الى قصة نشأت في بلاد ما بين النهرين ثم انتشرت من بيزنطة الى اوربا في عصرها الوسيط[٣٤].

وفي نصوص مستحدثة كحكاية اندروميدا يبتر البطل لسان او السنة الوحش الذي صرعه ليستخدمها وسيلة لاثبات شخصيته ، وهو من عادة قديمة كانت تقضي باستعمال لسان الوحش المقتول كشارة نصر[٣٥].

اما في الحكاية العراقية فأن زوجة الامير تبتر السنة الرسل الثلاثة . وهذا دليل قوتها ، ولئلا يزيفوا الحقائق وهي ايضا من عصر سبق عصر الكتابة فيضطر الامير للحضور اليها بنفسه فتخبره ان امه قد طردتها وتنكرت بصورة زوجته وحملت منه الى آخر الحكاية .

اما جزئية مفرق الطرق الاوربية حيث يمر البطل بعمود عليه كتابات تكون في العادة تحذيرا يقول «من يمض من هذا الطريق يلق نهايته»[٣٦]. ويمكن ارجاعها الى كلكامش ورحلته حيث صادف الرجل العقرب وزوجته وصاحبة الحانة الذين نبهوه الى المحاذير وارشدوه الى الطريق الصحيح وكذلك نزول عشتار الى العالم السفلي وارض اللارجعة ، وما

زالت هذه الجزئية عندنا ترد في الحكايات عندما يصل البطل الى مفرق الطرق فيصادفه شيخ يبين له (درب الصد مارد ، ودرب السلامة) .

حكاية بيت الكنز وهي من حكايات اللصوص وقد نقلها هيرودوت من مصر الى اليونان ، استنتج جاستون باري انها نشأت في بابل مستندا الى العادات العامة في مصر وبين ان من المستحيل ان يكون لهذه الحكاية اصل مصري بل هو عراقي قديم استنادا الى عادات ما بين النهرين[٣٧].

وكذلك حكاية البرهمي الذي اعاد الحياة الى اسد ، اقدم نصوصها هندي من مدينة مدراس ، فينتهي النص الهندي والعبري ايضا ، لا تصنع الخير لمن يصنع الشر ، حتى لا تحصد نكران الجميل ، ان نص الحكاية منسوب الى الشرق الاوسط وما زالت في الحكايات الشعبية العراقية حكاية جزاء الاحسان بكان ، بالمضمون نفسه[٣٨].

اما اسطورة الانسان فقد وردت في ملحمة كلكامش عن الافعى والخلود وهي تؤلف نمطا متميزا ذاع في الهند واليونان وصقلية وقسم كبير من افريقيا فضلا عن بلاد بين النهرين ، ولا مفر من افتراض وجود علاقة تاريخية كانت قائمة في هذه الانحاء ، ولعل اقدم النصوص هو الذي يرد في ملحمة كلكامش البابلية ، انها تعود الى اصل عراقي وصل الى افريقيا عبر مصر وبلاد البحر المتوسط[٣٩].

ولا تخفى حكاية الحمامة والغراب التي وردت في العهد القديم ولكل شعب بل لكل قبيلة تفسير خاص لهذه الظاهرة واقدمها ما جاء في ملحمة كلكامش[٤٠]. واليها تنسب حكاية كورنس الاغريقية[٤١] وكذلك فكرة قدرة الثعابين على تجديد شبابها وحيويتها تعود الى ملحمة كلكامش ، فهي نشأت في ما بين النهرين ومن هنا هاجرت شرقا وغربا فوصلت الى الهند ، كما وصلت الى افريقيا فاضيف اليها ما اضيف ، وأدى ذلك المعتقد الى عبادة الثعابين[٤٢].

اما الحكايات الدائرة حول القطط فليست اقدم من القط نفسه لانه لم يكن معروفا في اوربا ، وكلمة قط انتشرت في اوربا بلفظها في اماكن عديدة والقط من حيوانات البلاد غير الباردة حتما ، ويعتقد ان للقط علاقة بالساحرات والشياطين وان له سبع ارواح ، وحكاية القط ذي الحذاء تشبه الحكاية العراقية عن البنت وقطتها التي رمتها على المزبلة وكانت القطة قد ساعدت الفتاةعلى تزويجها وفي كثير من جزئياتها تشبه الحكاية الانكليزية عن وتنكتن وقطته ، وحكاية فرنسية بنفس المضمون .

وهناك قصة شجرة جونيبر المشهورة على لسان كرشن في فاوست لها مقابل في الفرنسية الجاسكونية والالمانية القديمة . فالنص الالماني القديم هو : «امي التي ذبحتني ، ابي الذي اكلني اختي الصغيرة تبحث عن ساقي وتلفها برباط من حرير ، تفتحها تحت شجرة الجوز» طر .. طر انا عصفور جميل .

نص اغنية جوته :

«أمي التي قتلتني ، أبي الوغد الذي اكلني ، اختي الصغيرة دفأت ساقي في مكان رطب ، هناك اصبحت طيرا جميلا في الغابة ، طر ايها الطائر ، طر ايها الطائر» .

النص المصري :

«انا الديك الاخضر امشي على الحيط واتمخطر ، ومرات ابوي دابحاني وابوي ياكلني حامي ، واختي تلم عظامي[٤٣]» .

اما النص العراقي ، فيمكن الرجوع اليه والى تحليله في مجلة التراث الشعبي ، للكاتب عن الطيور في التراث الشعبي (ج٢) ١٩٦٦ وكذلك الحكاية الشعبية العراقية ١٩٧٢ ، فهذا الطير يلخص قصته بأغنية تقول :-

«انا طير اخضر ، امشي واتبختر ، أمي ذبحتني ، وابوي اكلني ،

واختي العزيزة لمت عظامي وحيتني .»

فهذه الحكاية تبين قصة زوجة الاب التي خدعتها جارتها فرتبت لها ذبح ابن زوجها من زوجته المتوفاة ، وقدمت لحمه في شكل (كبة) وبعد ان يأكله الاب تأخذ اخته عظامه وتجمعها وتدفنها تحت (حب) الماء ، فتنبت نبتة تكبر فتثمر (رقية) بطيخة حمراء ، تنضج فتنشق فيخرج منها طائر أخضر ينشد تلك الأغنية وينتقم من ابيه وزوجته ويكافىء أخته لأنها أعادته الى الحياة ۰ يمكن ارجاع هذه الاسطورة الى اسطورة تموز وأخته كشتن ـ انا التي افتدته من الموت في العالم الاسفل بديلا عنه كما يرى فلكنشتاين(٤٤)، وانقاذه من قبضة شياطين العالم السفلي المتمثلة بزوجة الاب .

في الحكاية الالمانية (ما خاندل يوم) تحولت روح الأخ الصغير المقتول الى طائر ، أخذ يتغنى بالشر الذي قدر له ان يقاسيه ، وفي الحكاية الخرافية كثيرا ما يطير الانسان الممسوخ في صورة طائر ، قد يكون بجعة او غرابا ، وقد ظهرت الملكة المقتولة له في شكل بطة من النهر(٤٥)، فهذه اذن صنو حكاية الطائر الاخضر ، وكلنا يعرف حكاية سميراميس الملكة المشهورة التي قيل انها تحولت الى حمامة وطارت مع سرب حمام ، ولعل في ذلك سرا لتقديس الحمام ، وتردد كثيرا صورة لبعض الناس الذين تحولوا الى صقر او باز ، اناس يمكنهم ان يلبسوا ثيابا من ريش الوز ويطيروا ، كما ورد في الف ليلة وليلة وفي حكاياتنا الشعبية الحالية .

اما تصوير الروح بشكل حيوان من الحيوانات فليس شيئا مستبعدا فقد كان قدماء العراقيين يعتقدون ان الأرواح تكون على هيئة الطيور ، ۰ فهذا انكيدو يقص رؤياه على صديقه كلكامش ويقول له فيما يقول : ان طير الصاعقة (زو) قد بدل هيئتي فصارت يداي مثل جناحي طائر مكسوتين بريش ، أخذني الى الدار التي لا رجعة منها .. وقد حرم

ساكنوها من النور .. وهم مكسوون كالطير من اجنحة الريش[٤٦] وكان قدماء المصريين يعتقدون ان الروح تصير فراشة كما انها تصير ايضا طيرا وقد خصصوا في مبانيهم اماكن خاصة ، اوكارا لها[٤٧]، ومن الشعوب من يعتقد ان الروح تصبح افعى ومنهم من يعتقد انها تصبح فأرا ، كل حسب تصوره مصير الأرواح ، فمنها خفيفة فهي طائر او فراشة ، او ذبابة ملونة ، منها التي مصيرها الارض التي تدخلها كمصير الجثة بعد الدفن ورؤيتهم الافاعي والفئران تخرج من الحفر والقبر فهي اذن ارواح ، ومن الحكايات التي يرد فيها الفأر باعتباره روحا حكاية الرؤيا التي رآها ملك الافرنج جونترام انه عبر جسرا من حديد حتى وصل الى كهف فيه كنز ثمين ، فحكى له خادمه ، انه رأى فأرا يخرج من فم الملك ويسير على السيف ويدخل جحرا ، فاسرع الاثنان الى مكان الكهف فوجدا الكنز[٤٨] والنص العراقي المستحدث لهذا النوع من الحكايات ان فلاحا رقد رقدة قصيرة بعد عناء العمل وبعد تناوله الغذاء فرأى في حلمه انه سار على جسر من حديد وقص رؤياه على صاحبه الذي كان الى جنبه لم ينم فقال له صاحبه هذا انه رأى روحه تسير على السكين الموضوعة على طاسة اللبن الذي تغديا به وكانت على شكل ذبابة او حشرة زاهية الالوان ، ويمكن ان يكمل النص هذا نص شعبي آخر عن رجل توفي غير انه عاد الى الحياة وقص رؤياه او احداث رحلة موته الى ذويه قائلا ان ملك الموت نادى باسمه مع من نادى بهم الى ركوب رحلة الموت فتقدم وعبر جسرا من حديد على نهر اسود وكانت ارواح الموتى الآخرين تمشي عليه وعندما نودي على الموتى الآخرين للعبور تبين انه اشتبه باسمه وان المطلوب للموتى غيره فعاد للحياة ، وهناك نص آخر يقول ان الأرواح تعبر في سفينة كبيرة من خشب وليست هذه المناظر غريبة عما لدى العراقيين القدماء ولدى الاغريق ايضا .

وكان القدماء يعتقدون في قوة بعض الاشياء ، وانها تكمن في الشعر مثلا فانكيدو شعر رأسه كان غزيرا كشعر النساء ، ويذكرنا هذا بحكاية (صاحب الآلام المتعددة) فشعره الطويل اذن تأكيد لقوة خاصة وكذلك الأمر في قصته شمشون التي وردت في العهد القديم ، فاذا فقد شعره فقد قوته وتشابهها ايضا حكاية هندية[٤٩]، وقد ينوب الجزء عن الكل كحرق الشعرات او فركها وكذلك ادواته كالصورة او الخاتم او الحذاء والملابس كالعباءة والطاقية والمصباح وغيرها .

وفي منطقة الفلاندرز حكاية العظام المغنية ترد ايضا في صورة أخرى قديمة في الهند[٥٠] ويمكن ان تضم هذه الحكاية الى حكاية الطير الأخضر التي ورد ذكرها أعلاه فعظام الولد اصبحت طيرا راح يغني ، ومثلها ايضا ورد نص عن قطرة دم القتيل تروح تغني وهي على ثوب القاتل تفضح العملية وتكشف السر ـ ورد هذا في نص عراقي .

وحكايات الابتلاع قديمة واولها عبور النهر الذي يبتلع الانسان الذي يصل الى كور ، المكان الفارغ الذي تذهب اليه اشباح الموتى جميعا والعالم الاسفل الذي ابتلع عشتار وتموز وعادا الى الحياة وكذلك انانا[٥١] وغيرهم ، ويعتقد كثير من الشعوب ان الكسوف يحدث نتيجة ابتلاع الشمس والقمر من قبل كائنات هائلة مخيفة غالبا ما يكون ذئبا او ماردا او موتا ، وهناك مسألة ابتلاع الحوت للنبي يونس وفي الحكايات التترية والسيبرية ترى الليل وحشا مهولا يبتلع كل شيء فكه السفلي في الارض والعلوي في السماء ، اما شعب الزولو في جنوب افريقيا فيرى وحشا مفترسا يبتلع كل الكائنات التي قابلها حتى ينفجر في النهاية والحكاية البوهيمية عن (بميرلسك) فيها وحش مهول يبتلع الاطفال والحيوانات وفلاحا وعربته واربعة خيول وانفجر في النهاية[٥٢] والى هذه الطائفة من الحكايات تضم حكاية ذات القبعة الحمراء المسماة عندنا ليلى والذئب ،

وحكاية الذئب والنعاج السبعة وعقله الاصبع ، وتسمى عندنا أصيبع ، وحكايتنا جنجل وجنيجل ، اما حكاية الام التي تمنت ان ترزق طفلا حتى ولو كان ضفدعا (وهي حكاية نص اصيبع بنص آخر) فان الضفدع يبتلع امه ومغزلها وخالته والدولاب ، وجماعات اخرى واباه والفدان والثور ، واهل القرية ويأتي للمنارة والمؤذن فينفجر ويخرج الجميع احياء ، وهناك يظهر في النهاية الاثر الديني .

تنتشر فكرة ذبح التنين لدى اقوام كثيرة في العالم اقدمها يرجع في اصله الى مصادر سومرية سواء أكان اغريقيا او غيره فقد وردت ما لا يقل عن ثلاث روايات عن ذبح التنين قبل اكثر من خمسة وثلاثين قرنا ابطالها انكي شبيه الآله الاغريقي بوزيدون وننورتا اله الريح الجنوبية والثالث كلكامش ، ويكاد لا يوجد بطل من ابطال الاغريق لا يذبح التنين من هرقل وفرسوس وغيرهما[٥٣]، وترد هذه الافكار لدى كثير من الامم من الصين الى غرب اوربا .

كانت وما زالت ترد فكرة التخلص من الاطفال وخاصة الملكيين او الامراء ولذلك اسبابه ووسائله فنهم سرجون اولهم وموسى وغيرهم يردون في الحكايات الشعبية في نصوص مستحدثة ، فالمذكوران التقيا في سلة في النهر وخلص كلا منهما اميرة ، وفي نصوص مستحدثة يتخلص من الاطفال بواسطة خدم يعطفون عليهم ويطلقون سراحهم فيخلصهم اناس او حيوانات كالنسر الذي خلص كلكامش عندما القي به من شاهق حسب رواية الكاتب الروماني كوديوس البانوس من اهل القرن الثاني للميلاد[٥٤] ولذلك اسباب عديدة ، الخوف من الاطفال الذين سيولدون لأنهم سيغتصبون العرش او يهددون المملكة ، او ان الاميرات يتخلصن منهم لأنهم غير شرعيين او لأنهم سيسلكون سلوكا غير مرضي كما ورد في احد النصوص العراقية المستحدثة عن (العارفة) الذي أخبر رجلا ان

ابنته ستخزيه ان ولدت له بنت فيأخذها أخوها ليذبحها ولكنه لا يذبحها بل يعيش معها ويحميها الى آخر الحكاية .

والآن نأتي الى مسألة هامة للغاية هي مسألة رجوع الخرافات الى اصل اغريقي او هندي فالنقطة الحرجة التي ما زالت موضع شك وقد زعزعت نظرية بنفي وغيره من اصحاب النظريات التي بذلت في شأن اصل الحكايات الخرافية ، هو ان ايسوب الذي يقال انه اخترع الخرافة الاغريقية لم يكن في الحقيقة اغريقيا بل لم يكن من رعايا الاغريق في القارة الاوربية واغلب الظن انه كان رقيقا ساميا يشتغل بالكتابة في ايونيا في غرب اسيا الصغرى وقد تجول في بلدان كثيرة .

اضف الى ذلك ان هذا النوع من القصص نجده في اقدم اجزاء العهد القديم ، الامر الذي حملنا على الظن ان هذا النوع القصصي جميعا قد وصل الى الايونيين من الشرق السامي ، وانه ارتحل من الشرق السامي الى الهند ، مع ما ارتحل اليها من ثقافة ما بين النهرين(**)، فهذا الرأي الصريح الواضح يبين ان اصل كثير من الحكايات الخرافية المعروفة بالجاتاكا والبانجا تانترا وغيرهما التي تعود اصولها الى ما بين النهرين كانت قد رحلت فيما رحلت الى هناك وعادت مرة اخرى في موجة راجعة في بعض نصوص كليلة ودمنة والف ليلة وليلة وليس جميعها هذا ما حدث في فترات من التاريخ طمست اغلب معالمه ولم تبق منه الا اشعاعات تنير الطريق الى المصدر الاول .

القسم الثاني من بحثنا هذا يخص رحلة الحكايات العراقية خاصة والعربية عامة الى بلاد اوربا عن طريق الاندلس والى ارلندة وايسلندة وهذه النقطة لم يفها احد حقها فالعرب عندما حلت بهم المصيبة في الاندلس ارتحل منهم من ارتحل الى بريطانيا والى ايرلندا بالذات هذا المركز الوسيط بين شمال اوربا وبين اوربا نفسها وقد انتقلت اليها كثير

من المعتقدات والحكايات التي لم تكن قد ظهرت في اوربا في عصرها الوسيط ، كما سنرى من الشذرات التي سأوردها هنا ولعل الوقت سيسعفنا لنفيه حقه من الدرس الاكمل . فلم تكن ملاحم الحيوان في اساسها من انشاء العصور الوسطى الاوربية فقد عرفها العالم القديم في اطار بدائي ثم ذاعت اثناء النهضة خاصة اسبانيا ، باطارها الفني حسبما يرى كراب[٥٦].

ولم يغير رجال الكنيسة الاوربيون الموضوعات القديمة وحدها فانشأوا فولكلورا بذلك ـ جديدا ـ بل اذاعوا انواعا اخرى من الخرافات المحلية نقلوها عن خرافات البحر المتوسط[٥٧]، فلو اخذنا موضوع (النساء المتوحشات) الموجود في مناطق جبال الالب الشرقية والتي تمتد من مقاطعات سويسرا الشرقية الى شرق الحدود النمساوية وكذلك توجد هذه الموضوعات عن هؤلاء النساء في جبال البرانس في اسبانيا فهي اذن قد جاءت من أصل عربي واصلها السعالي التي يمكن ان تعيش في الصحارى كما تعيش في الانهار وقربها . فأوصاف السعالي تنطبق تماما على اوصاف النساء المتوحشات ذوات ـ الشعر المشعث والاثداء الطويلة ـ وكلمة (سلواثيكوم) التي تعني سكان الغابات شبيهة بلفظة (سعلوه) العراقية . والحكايات التي تخص ارواح الماء والعفاريت المائية تتشابه كثيرا في كثير من مناطق العالم[٥٨].

وهناك خرافات عقد المواثيق بين الجن والأنس وزواجهم منذ تموز وعشتار ، وكلكامش ، وغيرهم حتى فاوست وثيوفيليس وخرافة الشيطان والفلاح وعقدهما على الفلاحة منتشرة في كثير من بقاع العالم منها اسكتلندة وروسيا والعراق .

وان لم يكن الشرق الادنى منبعا لكل الافكار والمعتقدات ، وهذا شيء طبيعي ، فان له دورا مهما في النقل ، فقد هاجرت الحكايات

الخاصة بتضحية الاطفال فداء لارساء الاساس او للمردة من الجن الى بلاد الشرق الادنى اول ما هاجرت ، ثم اصابها التحوير ثم وصلت اوربا من الشرق الادنى ، حيث صيغت على اساس فكرة (قربان ارساء الاساس) وفقدت هدفها الاصلي حيث هبطت الى مستوى ثقافة الفلاحين[٥٩].

وكان الاطفال يقتلون لأن الملك يريد ان يشفى من مرض اصابه فيستحم في دم طفل او يأكل قلبه . وفكرة الخناقين (وشلاعين) القلوب ليست غريبة على الناس . فقد وردت في نصوص عربية قديمة وعراقية مستحدثة . اما الجاحظ فيورد ضمن ما يورد ان دم الملوك يشفي من عضة الكلب المسعور او من غير ذلك .

ولا سبيل الى الشك ان اسطورة اهيكار او حكمة احيقار قد هاجرت من بابل من الساميين شأن كتاب السندباد وقد استعارها الاغريق[٦٠] . ووقعت حادثة شديدة الشبه بهذه القصة في الهند في عصرها الوسيط .

هذه الافكار انبعثت اول ما انبعثت في بابل السحيقة ومنذ قرون كثيرة سابقة هاجرت غربا اثناء فترة من الحروب الرومانية الاهلية وكان جديرا بها ان تغذي جوهر هذا العقد الغريب من الخرافات المشهورة في كافة انحاء اوربا من ارلندا الى بوهيمية ومن جنوب ايطاليا الى الدنمارك[٦١]. والى المنطقة نفسها تنسب حكاية معروفة عن الانسان الذي سخط وصار ذئبا . البطل يتحول الى ذئب بفعل زوجته الشريرة التي تمارس الوان السحر ويجترىء الزوج فيراقب اعمالها السحرية . واذ هو ذئب ينقذ طفلا من ابناء الملك . ويكون هذا العمل الطيب سببا في استرداد انسانيته وانزال العقاب بالساحرة . الحكاية شائعة في المناطق الكلتية من اوربا ووردت في نص سوداني مستحدث فزاد اليقين انها شرقية[٦٢]، بل من بابل وعن عشتار التي سخطت حبيبها الى ذئب .

واعتادت ان تمسخ عشاقها او تسخطهم ، واليها تنسب خرافة بوريدان العالم الضليع الذي كشف سر الملكة التي اعتادت ان تقتل عشاقها بعد ان تنال غايتها من حبهم . انتشرت هذه الاحدوثة في بلاد البحر المتوسط وفي ايطاليا بوجه خاص ثم حملها العلماء الرحالة اثناء فترة ازدهار الجامعات الايطالية الى فرنسا والمانيا بلا شك[٦٣].

والخضر النبي العربي فشخصيته معروفة ويعتقد انه لبث يرتحل ، مخلد الحياة ، يجازي المحسن على احسانه ، ويعاقب المسيء على اساءته وعندما حدثت الحروب الصليبية اتيح للاوربيين ان يتعرفوا على هذه الشخصية فنشأت لنا شخصية اهاسوراس[٦٤] .

ومن خرافة الالهة الساحرة التي تبدل الطبيعة البشرية لعشاقها تقوم الشريكة في زواج ناجح بتحويل شركائها الى حيوان ، كلاب وذئاب وحمير ، وفي نص ايسلندي مستحدث تحولهم الى كراكي وغرانيق بدافع الحقد المحض ، أو لأن الازواج يرونها تمارس اعمال السحر يستعيد الازواج المذكورون شكلهم الانساني على يد ساحرة من الجنس اللطيف او حين تقع حادثة مواتية ، هذا النمط من الحكايات ذو اصل شرقي وصل الى ارلندة بل ايسلندا في مطالع العصور الوسطى ولم يحظ لحد الان بدراسات جيدة منشورة[٦٥]، فقد حصل انتقالها على ايدي العرب في الاندلس لما تركوها لاسباب معروفة فراحوا يعطون ما لا يملكون ويتبادلون مع غيرهم .

وخرافة فايدروس ليست غريبة على الحكايات العراقية فهي تحكي عن تنافس غني وفقير على حب عروس ، يفضل ابوها الغني وتشاء الصدف ان يستأجر اهل العروس حمارا للفقير ، فتهب عاصفة ويتفرق الموكب ويعود الحمار بالعروس الى بيت صاحبه الفقير الى اخر الحكاية[٦٦]. وما زال لدينا نصوص مستحدثة من هذه الحكاية وهناك نص

خرافة ثانهوزر وجبل فينوس تقال عن سيدة الغابات التيتونية سواء أكان في وسط اوربا او في السويد بل نجدها في حكاية الشرق الادنى وفارس والهند ، اغلب الظن اننا بازاء حكايات متشابهة نشأت عن اصل واحد وذلك هو الفكرة المزدوجة الخاصة بجنيات الاماكن الموحشة(٦٧) والسعالي التي مر ذكرها قبل قليل .

وبخصوص السير النثرية فان سير العلاقات تتحول على مر الزمن سيرا رومانسية تفتقر الى الاساس التاريخي الواقعي وتغدو اداة يستحدثها الخيال الشعبي وينسج خيوطها ونستطيع ان نلحظ هذا التحول في ايسلندة القديمة حيث اصبحت سير العلاقات تشتمل على الخرافات الغربية وعلى حكايات العفاريت ذات الاصل الشرقي وهي ابدا عناصر غريبة على ايسلندة(٦٨) ويلاحظ ثمة شبها بين تلك السهير وبين السير العربية كالهلالية وسير عنترة مع ان السير الايسلندية اقصر نفسا .

أما الاغاني القصصية الروسية حول دوبرينيا نيكيش قاتل التنين والساحرة مارينا اكناتيفنا واما ماريا فهي هذه الالهة التي سارت في الارض في صورة بشر وهي الالهة السامية القديمة التي يصاحبها حمامها المقدس وكانت تقتل عشاقها بعد ان تعاشرهم او تسخطهم وتجعلهم حيوانات متوحشة ، ولا يخالجها شك في ان هذا الموضوع ترامى الى روسيا من بلاد الشرق الادنى مباشرة حيث كان ذائعا في هذه المنطقة اثناء العصور الوسطى(٦٩).

وللديك شأن في الحكايات شأن جميع الحيوانات ويمكن الاطلاع على المأثور العربي بصددها في مصادر غزيرة عنها ، فللديك صفات كثيرة مستحبة وغير مستحبة ، والاوربيون يتشاءمون من الديك لأن هذا الطائر

وافد حديث نسبيا على اوربا ومأثوراته رافقته بلا ريب وهو يهاجر من الشرق الى الغرب .

وهكذا يقال خلق الديك عدوا للمردة والساحرات ، وحليفا للكلب[٧٠] ويمكن الاطلاع بهذا الصدد على معتقدات العرب في الجن ومركوباتها في مصادر ومراجع متعددة منها مجلة التراث الشعبي .

يعتقد ان دم رجل القبيلة المسفوك يصيح في وجه قاتله ، واذا ترك دون اخذ ثأره انزل اضرارا جسيمة بالمجتمع[٧١]، هذا الاعتقاد مأخوذ عن فكرة الهامة العربية .

ويقول كراب لسنا نعرف لماذا يجلب الحمام سوء الطالع ، فالطائر ذاته غريب على اوربا ويظن انه حمل معه هذه الصفة من بلاد الشرق الادنى حيث كانوا يفرقون منه ، ويخافون اذ كان عندهم نذير الموت[٧٢]، لقد مر ذكر سميراميس والحمامة التي تحولت اليها وطارت مع سرب الحمام ، وعشتروت وطيرها المقدس الحمام وبما ان عشتروت تمسخ عشاقها فان صاحبها الطير يخشى منه كما يخشى من عشتار .

ويعتقد في اوربا بان بعض الطير وخاصة اللقلق رجال مسخوطون ، ويمكن كما قلت الرجوع الى مواضيع المثيولوجية العربية في الممسوخات ، كاللقلق في المعتقد الشعبي انه سارق وكان صاحب مخزن لبيع الحبوب - علوجي فسخ وهناك حكايات تدور حول سرقاته ، واما البومة فهي خبازة والقرد ابنها ، الى غير ذلك .

ويمكن ان يخصص للعنقاء العربية بحث كامل في اثره على المعتقدات المشابهة لدى اليونان والرومان والاوربيين جميعا والفرس والهند والصين وقد ترجم الاستاذ لطفي الخوري في مجلة التراث الشعبي بحثا بهذا الصدد غير ان الباحث لم يبين الاثر العربي لهذا الطائر العربي .

بما ان العالم العربي اصلا واحد في فكره وتراثه ولغته وارضه ،

ويتبين ذلك من وحدة لغته وتشابه موروثاته الشعبية في الحكايات والمثل والمعتقدات الى العالم فهي اذن ذات علاقة واثر في الحكاية الشعبية مع غيرها وفي غيرها من حكايات العالم كما رأينا في بعضها عن اثر العراق ، اما عن الاثر الأحدث فقد حصل في اوربا عن طرق منها : اسبانيا وصقلية والحروب الصليبية وفي هذه الاخيرة كانت الجيوش العراقية المدافع الحق مع الجيوش العربية الاخرى عن ارض الوطن .

فقد كانت اسبانيا احدى تلك الطرق ، في غضون القرون السبعة من الحكم العربي ملتقى الشرق والغرب ، بلغت الحضارة العربية اوج سناها في طليطلة وقرطبة وغرناطة الى جنب فلسفة الشرق والاغريق وعلومها التي جلبها العرب معهم ونفذت من اسبانيا الى اوربا ، اثناء القرون الوسطى ، هذا وانهم جلبوا معهم مجموعات كثيرة من الحكايات الشرقية . امر الفونسو الحكيم عام ١٢٦١ ان يترجم كليلة ودمنة الى القشتالية ، وكانت تلك اول ترجمة له الى اي لسان حديث ، وترجم كتاب السندباد وبعد ذلك بسنتين ، وتبعها عدد كبير غيرهما ، قصص تلك المؤلفات حكايات موجزة سديدة تتضمن عبرا وامثالا ، وهو ما كان يطلق على تلك الاقاصيص والاسباب التي دعت الى سعة انتشارها وتألقها المستديم واضحة وهي الملاحظة الثاقبة والاقتصاد في الشكل ، والطلاوة في الاسلوب- الذي ما زالت تتمتع به .

وقد اقتبس دون جوان مانوئيل ابن اخ الفونسو (١٢٨٢ ـ ١٣٤٨)[٧٣] وهو من معاصري بوكاشيو ـ اقتبس كتابه الكونت لوكانو حكايات متوارثة وسردها بطريقته الخاصة وقد اثر في كثير من الكتاب الاسبان الذين اقتفوا اثره وشقت حكاياته تلك طريقها في الحال نحو بقية انحاء اوربا وتعتبر حكايته عن الرجل الذي تزوج امرأة سيئة الطبع احدى الحكايات المشهورة ذات اهمية خاصة لأنها افادت شكسبير كمصدر

لمسرحيته ترويض المرأة الشرسة ، فهو اذن قد استفاد من التراث العربي الغزير .

ولا نريد ان ندخل في موضوع الديكاميرون وكليلة ودمنة والف ليلة وليلة والكانتربري ، غير انني اود ان اذكر ان هناك حكاية شعبية عراقية اسمها (دان دان نسيب السلطان) يمكن ان تعتبر عقدة موضوع دون كيشوت لسرفانتس ، فهذا باعتقادي شيء مهم لم يسجل ، كما سجل اثر كليلة ودمنة مثلا في العظات الكنسية الاوربية ، وفي كتب الامثال ، فدخلت حكاياته في الادب المثقف واعاد صياغتها جوسر وهنرسون ودريدن ولافوانتين ولسنج كما يبين عبدالحميد يونس في كتاب الحكاية الشعبية ، اما اثر الف ليلة وليلة فلا يمكن حصره وقد نفذت نوادر ابي نؤاس وجحا الى خارج حدود العالم العربي الى شرقي افريقيا ونيجيريا ، وتركيا وقسم من اوربا الشرقية وانتقلت الى اوربا ايضا ابان الحروب الصليبية الحكايات المرحة .

ونتيجة للروابط التاريخية القائمة بين فرنسا وايطاليا وبين اوربا والشرق الادنى ايضا ، انتشر ادب الامثولات ايضا اثناء الحروب الصليبية واستفاد منه الرهبان في مواعظهم .

بقي شيء اود بيانه وايضاحه من اجل دحض نظرية تقول ان من خصائص المجموعات الهندية والفارسية انها غالبا ما تدخل في اطار الحكاية الواحدة عددا وفيرا من الحكايات الاخرى وهي وسيلة فنية مماثلة لتلك التي عرفها الادب المصري ، بهذه الطريقة نشأت المجموعات المتأخرة (الهندية) بعد الجاتاكا والبانجاتانترا ، وهي :

١ ـ خمس وعشرون حكاية عن الاشباح .

٢ ـ سبعون حكاية عن الببغاوات .

٣ ـ اثنتان وثلاثون حكاية عن العرش .

٤ ـ حكاية الحكماء السبعة[٧٤].

ويقال ان الف ليلة وليلة اخذت عن ذلك والقول هذا مردود لأن صاحبه يذكر مصادر اخرى غيرها وردت فيها ، ويقول : «كلما توغل الانسان في حكايات الف ليلة وليلة ازداد احساسا بانفاس الروح العربي ، فالطبيعة العربية كلها تأسرنا حينئذ الى درجة اننا نستسلم راغبين لها وحدها عن طواعية ونفضل الا نشعر بغيرها»[٧٥].

اما عن الاسلوب فان المؤلف او المؤلفين لكلكامش وفقوا في جمع الجزأين الاولين ، اي الاعمال البطولية والمغامرات المنسوبة الى البطل كلكامش وصاحبه انكيدو ، وحوادث الطوفان الشهيرة ، مما جعل الملحمة كلها وكأنها وحدة فنية مطردة على الرغم من ان المؤلف او المؤلفين استعملوا ما يشاكل طريقة القصص المتبعة في الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة في ربط قصة باخرى[٧٦].

وكان الشعراء البابليون اول من حقق جمع الحوادث وربطها ببعض وجعلها وحدة اوسع واكبر مما فعل السومريون عندما اقتبسوا عنهم تلك القصص القصيرة المقتصرة على الحادثة الواحدة وحوروا فيها واعادوا صياغتها ، ويتضح هذا العمل البابلي بوجه خاص في ملحمة كلكامش البابلية التي تتجلى فيها مقدرتهم في انتاج ملحمة مركبة مطولة[٧٧]، وبهذا الرأي يرد على القائلين بعدم امكانية العرب في التركيب القصصي .

والى لقاء اخر في مواضيع تخص العلاقات والاثر في الحكايات الفارسية والتركية وغيرهما .

1 —Samuel Noth Kramer, Sumerian Nythology. P.20(USA) 1961
2 — N. K. Sandars , The Epic of Gilgamesh. p. p.45,56. Britain 1962
3 — IBID. P. 45.
5 — IBID. P. 44.
6 — IBID. P. 44.

٧ ـ الهلال ـ عدد ٣ ـ ص ١٤١
٨ ـ نفسه ـ ص ١٤٢
٩ ـ نفسه ـ ص ١٥٢
١٠ ـ الكزاندر كراب ـ ترجمة رشدي صالح ـ علم الفولكلور ـ القاهرة ١٩٦٧ ـ ص ٢١
١١ ـ نفسه ص ٣٤ . تراجع اسطورة كور في كتاب كريمر (الاساطير السومرية) ص ٧٦ ـ الطبعة الانجليزية .
١٢ ـ م . ن ص ٣٥
١٣ ـ م . ن ص ٧٨ . ايضا فريدريش فون دير لاين . ترجمة د . نبيلة ابراهيم ـ الحكاية الخرافية ـ بيروت ١٩٧٣ .
١٤ ـ م . ن ـ ص ٣٥
١٥ ـ م . ن ـ ص ٨٨
١٦ ـ م . ن ـ ص ٨٩
١٧ ـ د . فاضل عبدالواحد ، عشتار ومأساة تموز . وزارة الاعلام العراقية بغداد ١٩٧٣ . ويعد هذا البحث انضج بحث في الموضوع ، وفيه تجد كثيرا من اولئك المعتقدات وجزئيات الحكايات . راجع ايضا هوك ـ الاساطير في بلاد ما بين النهرين ـ يوسف داود ، واساطير بابلية ـ ترجمة سلمان التكريتي .
١٨ ـ صموئيل نوح كريمر ـ اساطير العالم القديم ـ القاهرة ١٩٧٤ ـ ص ٩٢
١٩ ـ نصوص حكايات شعبية عراقية ـ جمعها كاظم سعدالدين ـ راجع قسم ٥ .
٢٠ ـ دير لاين ، ص ١٦١
٢١ ـ د . نبيلة ابراهيم ـ قصصنا الشعبي ـ بيروت ١٩٧٤ ـ ص ٢٥ ـ فصل التحليل المورفولوجي للحكايات الخرافية ، وخاصة الوظائف في الحكاية وعددها احدى وثلاثون وظيفة .
٢٢ ـ طه باقر ـ ملحمة جلجامش . بغداد ١٩٦٢ ـ ص ٦١ ـ ٦٣ . دير لاين . ص ١٦٢
٢٣ ـ كاظم سعدالدين ـ الحكايات الشعبية العراقية ـ التراث الشعبي ـ العدد ١٠ ـ ١٩٧٢
٢٤ ـ طه باقر ـ ملحمة جلجامش ـ دير لاين ـ الحكاية الخرافية ـ ص ١٦٣
٢٥ ـ دير لاين ـ ص ١٦٤
٢٦ ـ د . فاضل عبدالواحد ـ عشتار ومأساة تموز ـ ص ١٠٧
٢٧ ـ دير لاين ـ الحكاية الخرافية ـ ص ١٦٦
٢٨ ـ د . نبيلة ابراهيم ـ اشكال التعبير
٢٩ ـ كراب ـ علم الفولكلور ص ٦٤ ، دير لاين ص ١٧٩
٣٠ ـ دير لاين ـ ص ١٠٤
٣١ ـ كراب : علم الفولكلور ص ٤٩ . وانظر ايضا ـ فريزر «الغصن الذهبي» ص ٦٣ الطبعة العربية
٣٢ ـ دير لاين : ص ٤٦
٣٣ ـ كاظم سعدالدين : الحكايات الشعبية ـ ص ١٣
٣٤ ـ كراب : علم الفولكلور ـ ص ٥٤
٣٥ ـ م . ن ص ٨٢
٣٦ ـ م . ن ص ٨٣
٣٧ ـ م . ن ص ١١٠
٣٨ ـ كاظم سعدالدين : الحكايات الشعبية
٣٩ ـ كراب : ص ١١٧
٤٠ ـ كراب ص ١١٦ ـ فريزر : الفولكلور في العهد القديم

٤١ ـ كراب ـ ص ١٢٢
٤٢ ـ م . ن ص ٤٠٠
٤٣ ـ م . ن ص ص ٧٣ - ٧٤
٤٤ ـ د . فاضل عبدالواحد : عشتار ص ١٣٠
٤٥ ـ دير لاين ص ٧٧
٤٦ ـ طه باقر : ملحمة جلجامش ص ٧٠
٤٧ ـ سعد الخادم : الفنون الشعبية في النوبة ـ القاهرة ١٩٦٦
٤٨ ـ طه باقر : م . ن ص ٧٠ الهامش
٤٨ ـ دير لاين ـ ص ٧٦
٤٩ ـ دير لاين ـ ص ص ٧٨ ، ٧٩ ، و ص ١٦٢
٥٠ ـ دير لاين ـ ص ٥٢
٥١ ـ كريمر ـ ترجمة طه باقر ـ من الواح سومر ـ الفصل ١٩ ص ٢٦١ وما بعدها .
٥٢ ـ دير لاين ـ ص ٩٤
٥٣ ـ كريمر ـ من الواح سومر ص ٢٨٣ الفصل ٢٠ عن ذبح التنين
٥٤ ـ طه باقر ـ ملحمة جلجامش ص ١٩ الهامش
٥٥ ـ كراب . م . ن ص ١٢٢
٥٦ ـ كراب . م . ن ص ١٢٣
٥٧ ـ كراب ـ ص ١٤٢
٥٨ ـ كراب ص ١٦٠ ، كاظم سعدالدين ـ الحكاية الشعبية ١٩٧٢
٥٩ ـ كراب ص ١٧١
٦٠ ـ كراب ص ١٧٢ ، ص ١٩٠ ـ تراجع في مجلة التراث الشعبي العراقية
٦١ ـ كراب ـ ص ١٧٢
٦٢ ـ كراب ـ ص ١٧٣
٦٣ ـ كراب ـ ص ١٧٣
٦٤ ـ كراب ـ ص ١٧٤
٦٥ ـ كراب ـ ص ١٨٦
٦٦ ـ كراب ـ ص ٢١٨
٦٧ ـ كراب ـ ص ٢٢٩
٦٨ ـ كراب ـ ص ٢٢٩
٦٩ ـ كراب ـ ص ٢٩٥
٧٠ ـ كراب ـ ص ٣٩٠
٧١ ـ كراب ـ ص ٣٤٨
٧٢ ـ كراب ـ ص ٣٩٨
٧٣ ـ هاربيت دي اونيت ـ ترجمة كاظم سعدالدين «الحكاية الاسبانية» (المثقف العربي) آب ١٩٦٩
٧٤ ـ دير لاين ـ ص ١٩١
٧٥ ـ دير لاين ـ ص ٢٢٠
٧٦ ـ طه باقر : ملحمة جلجامش ص ٢١
٧٧ ـ كريمر : من سومر ص ٣٣٦

٣

موتيفات عراقية

في الحكاية الشعبية

الموتيف motif : هو الجزئية او الوحدة المتكررة في الفن الشعبي .. شأنها شأن الوحدة الزخرفية في الزخارف . ومن مجموع هذه الجزئيات تتكون الحكاية التي تدعى ، نموذج type . واليك بعض هذه الوحدات او الجزئيات المتكررة في الحكاية الشعبية العراقية :

١ - قنينة الارواح :

يستطيع بعض الجان ان يحبس ارواح البشر في قنينة ومن يحصل عليها او يفتحها او يكسرها يستطيع ان يحرر منها ارواح البشر . كان البابليون يعتقدون بامكانية انفصال الروح عن الجسد وانها تذهب الى كيجال وارصت لاثاري (الارض التي لا رجعة منها) ويحرسها مردة الشياطين وتحكم فيها الهة شديدة قاسية هي ايرش كيجال يساعدها مجموعة من الالهة في حكمها . وقد تطور المفهوم هذا فصار القدماء يعتقدون بوجود من يساعد الالهة باستدعاء الارواح وقبضها وحفظها وتسجيلها واطلاق سراحها كما حصل لانكيدو الذي خرجت روحه من فتحة صغيرة في العالم كأنها الريح . وهناك آلهة تحفظ الارواح في شبكة .

٢ - الحيوانات والطيور التي تتكلم لتفيد الانسان في الاوقات الحرجة او تضره .

ان الحيوانات والطيور وبعض الفراشات انما هي ارواح بعض البشر فنها الصالح الخير ومنها الضار الشرير فالصالحة مثلا كروح سميراميس التي كانت من الملكات المصلحات وقيل انها تحولت الى حمامة فالانسان اذن يتوقع منها الخير في هذه الهيئة ايضاً . وأما الشرير من الارواح فهي الاشباح التي تحدث بالاحياء الاذى والضرر لان الاحياء اهملوا العناية بدفن الميت او انه لم يدفن او انه نبش فلم تستقر روحه في عالم الاموات بل خرجت بهيئة شبح مؤذ .

٣ - الشروط التعجيزية امام الخطاب لبنت الملك او غير الخطاب

فسر بعض الانثروبولوجيين انها اسطورة امطار الربيع والقمر . وثمة تفسير آخر هو ان الانسان في بلاد الرافدين القديمة كان يعتقد بقوى البشر والطبيعة وانه كان يعتقد ان من الممكن للبشر ومن الواجب عليه ان تكون له علاقات بتلك الكوائن والقوى ، لكي يكون قادرا على تصريف الامور خير تصريف . ومن ملاحظة جميع الحكايات التعجيزية نجد ان البطل لا يستطيع القيام بها وانجازه لوحده بل بوجود قوى خارجية كالساحر والجني والاله وادواتهم . وترجع هذه الاستعانة بالقوى الخارقة الى مرحلة عبادة انصاف الالهة .

٤ - الطرق المتفرعة امام البطل

تعود هذه الوثيقة الى انكيدو الذي ذهب ليجلب آلتي اليكو

والمكو العائدتين لصديقه كلكامش من ارصـت لاثاري اي الارض التي لا عودة منهـا . ويعلمه كلكامش ويرشـده كيف ينبغـي ان يسـلك في ذلك العـالم . ورغم ذلك يعنيه الاله «ايا» للقـاء شـبح انكيدو . ثمة حادثة اخـرى رحلة كلكامش من اجـل الخلود يصـل الى جبال ويأذن له الرجل العقرب بدخول باب الجبل ثم يصل الى ساحل البحر بعـد ان قتل من الحيوانات ولاقى من العقبات الشيء الكثير . وبقي عليه بحر الموت الذي لم يعبره احد قبله .

٥ - الشيخ الذي يرشد الى الطريق .

في الحياة اليومية والسـفر الى مكان آخـر يسـأل المسـافر عن اقصر طـريق الى غايته . اما في الميثولوجية . فنعـود ايضـا الى كلكامش ورحلة الخلود وبلوغه الجبال التي لم يسلكها احد فيرشـده الرجل العقرب . وبلوغه الى ساحل بحر وارشاد صاحبة الحانة له ومسـاعدة الملاح اور - شـنابي له عندما سـأله يا اور شـنابي اين الطريق الى اوتو - نبشتم ؟ اين الاتجـاه اليه . دلني على الطريق اليه .

٦ - تفضيل الولد على البنت

في اللوح الثاني عشر من ملحمة كلكامش ايضـا من خلف الاولاد الذكور خـاصة يعيش بشيء من الراحـة في العـالم الاخـر وكل من له ذكور اكثر يعيش هناك مرفها اكثر . ولعـل هذا يفسر سبب قتل الاباء لبناتهم . وهذه منبثقة عن المجتمع الزراعي فمن له اولاد اكثر فانهم يعينونه فيرتاح في دنياه واخرته .

٧ - **شرب الاباء دماء بناتهم**

يأمر الاباء بقتل بناتهم الوليدات ولا يقومون هم بذلك بل شخص اخر ويطلبون شيئاً من دمائهن اولاً كعلامة وثانيا اما تخلصا من عارهن او اعباء معيشتهن . حتى ان بعض الهمج في مختلف انحاء العالم القديم والحديث ايضا يقتلون ابناءهم من الجنسين ان زادوا عن الحد المقرر وقد تأكل الام ابنها ويفعل الشيء نفسه ابنها الاكبر طلبا للقوة كما في استراليا .

٨ - **الشعر او جزء من الجسم او ادواته او صورته او دمه**

ان للجزء فعل الكل . وكان الساحر البابلي قديما يستطيع ان يحدث شرا او خيرا في انسان او جزء من اعضائه او ممتلكاته كشعره او قلامة ظفره او شيء من ملابسه ويمكن لتلك الاشياء ان تقوم مقامه . ويذكرنا ذلك بما يرد في الحكايات عن شعرات الحصان او عصا موسى او الاظافر تنبت كالاشجار او القرون لتمنع صاحبها من اتباع الشر . فتلك اذن لها قابلية الحركة او الكلام حتى ان قطرة الدم تدافع عن اصحابها او اهلها . وقيل ان دم هابيل كلم ربه . وكان البابليون يعتقدون ان الاله مردخ خلق الانسان من دم احد الالهة .

٩ - **البساط الطائر والمرآة التلفزيونية وطاقية الاخفاء والخاتم المسحور وغيرها**

لما كان الانسان الفرد عاجزا عن غلبة خصمه القوى فتساوره الاماني بامتلاك قوة بدنية او امتلاك قوى خارقة تعينه على التغلب على خصمه الذي يمتلك من اسباب الحصانة ما يجعله بمأمن من الذين ظلمهم .

١٠ - اذا قطع راس العفريت نبعت له رؤوس جديدة

من ملاحظة الانسان لبعض السحالي والعظايا انها تعيد بناء اجزاء جسمها المفقود صار يعتقد انها تمتلك القابلية ايضا على اعادة نمو الرأس ويعتقد بوجود رأسين او اكثر للمخلوق الواحد لما يحصل لولادة التوائم الملتصقة من انسان او حيوان وحتى النبات .

١١ - يتنكر البطل بلبس كرشة خروف على رأسه

ليست لهذه الموتيف علاقة بالجن انما تحصل لمن يريد اخفاء شخصيته وغض الانظار عنه . وتكون عادة بان تجفف وتقطع على مقدار ما يغطي الرأس ويلف فوقها الكفية او الغترة فيبدو لابسها كالاقرع وهذا وغيره من ذوي العاهات في المجتمع البدائي كالاعرج والاعور وغيرهم لا يؤبه لهم في الحياة الاجتماعية . واذا ما حصلت غارة على القبيلة فتراه ينزع الكرشة ليعود شخصا عاديا عند الحرب ويبلي فيها ثم يعود ليلبسها بعد ان اخذ بعض الشارات من الاعداء . وقد ذكرت تفسير هذه الموتيف في بحثي عن الحكاية العراقية في العدد ١٠ - ١٩٧٢ وفي البحث ايضا تفسيرات لغيرها من الموتيفات التي ترد في الحكايات الشعبية العراقية .

١٢ - حلق الشعر حزنا على الميت

كان الناس يحلقون شعورهم كل سنة في موعد النحيب على تموز (ادونيس) .

١٣ - سبع طبقات الارض

كما ان السماء سبع طبقات تسكنها امم كذلك الارض ومن ضمن ذلك موطن الارواح بعد الموت يقع تحت سطح الارض الظاهر وهو عالم مخيف بهيئة مدينة مسورة بسبعة اسوار .

١٤ - وضع اطفال في صندوق او سلة ورميها في النهر

اذا خافت الام على وليدها سواء حملته سرا كما حصل لسرجون الاكدي او خوفا عليه من ظالم سواء أكان ملكا او غيره كما حصل لموسى فانها تضعه في صندوق او صفط وتحكم اغلاقه وتسلمه الى التيار ابقاءا على حياته عندما ينتشله احدهم وابعادا له عن اعدائها وأعدائه . ولا ارى علاقة لذلك الطفل بعد الولادة وتشبيه حاله في الرحم قبل الولادة وهناك اسطورة اوسيريس المصرية تؤيد ان الصندوق يستعمل لاحتواء الشخص ولو كان ميتا لابعاده والتخلص منه . فقد حصل ان قتل سيث اخاه الملك العادل ووضعه في صندوق والقاه في النيل الذي حمله الى البحر ولكن زوجته ايسيس تجده .

١٥ - الحمل من طعام او شم شيء

ان الانسان في العصور التي سبقت خروجه من طور الهمجية لم يعرف سبب الولادة الحقيقي لذلك جعل يختلق التعليلات والنظريات لتفسير هذا السر الغامض . وكانت اقوام شرقي البحر المتوسط يظنون ان ارواح الضحايا البشرية التي تقدم في حقل الحصاد تعود الى الحياة في السنابل التي غذوها بدماء الضحايا . وان الموتى يعودون في الحبوب النامية وفي ازهار الربيع

وان البنفسج والاقاحي والورود والشقائق نمت من ترابهم وتلونت من دمائهم واحتوت على شيء من ارواحهم . كما يحصل لتموز وادونيس . كما ان بعض القبائل التي تعيش على القنص تفعل ما يشبه ذلك اذ يظهرون للحيوانات التي يمثلونها ويأكلونها ظنا منهم ان روح موتاهم عادت اليهم . ذلك كله رأي جيمس فريزر ويضيف قائلا لنا ان نحسب ان في مثل هذه الحالات يعتبر الحيوان او النبات حاويا لروح انسان ميت فتنزل الروح الى احشاء العذراء وتولد طفلا من جديد سواء من اكلها او احتضانها او شمها والمرور بقربها .

١٦ - الباب المغلق المحرم

في الحكايات انه اذا وثقت السعلاة او الدرويش او من سواهما بالشخص فانه يسلمه مفاتيح الغرف وهي في العادة اربعون ويمنعه من فتح احداها فاذا ما فتحها رأى ما يدهشه . ويمكن العودة الى وصف ذلك القصر الى المعابد الفخمة في المجتمع العراقي القديم منذ ايام السومريين والبابليين ويمكن الوقوف على وصف هذه المعابد التي تحتوي على عدة طبقات وممرات وحجر وهياكل وغرف ومستودعات اموال وغيرها وتماثيل ومذابح وغرف سجلات - في كتب الاثاريين ومنها كتاب طه باقر تاريخ العراق القديم وكان الكهنة والسحرة على اختلاف درجاتهم موكلين بالقيام بواجباتهم فيها حيث يستمعون لصلاة الناس ويستلمون قرابينهم ويستمعون الى شكاتهم في جو من الرهبة والخشوع . وقد يحصل فيها ما يحصل للرجال والنساء على السواء . فظلت تلك المعابد واجواؤها في مخيلة البشرية في هذه المنطقة . ولا ارى

لها تفسيرا ضروريا . وخاصة ان فيها - اي المعابد - حجرة الاقدار والمصائر وحجرة الزواج المقدس الذي يقوم به الملك . او كاهن وكاهنة في فصل ظهور الانبات وغالبا ما كانا يقتلان بعدئذ .

١٧ - زواج الجن من الانس

كان البابليون والاشوريون يملأ عالمهم الشياطين وهي ثلاثة اصناف الاول اصله ارواح نوع من موتى البشر والثاني شياطين بحتة والثالث مركب من الشياطين والبشر نتيجة تزاوج البشر من الشياطين .

اما شرط عدم ذكر الحقيقة او معرفتها او اتلافها فهي تعود الى انليل اله الهواء والجو وظواهره الذي يحفظ الواح القدر ومن يحوز عليها يكون ذا مقدرة على التحكم في مصير جميع الاشياء . وقد سرق الطائر زو هذه الالواح فحوكم امام انليل .

١٨ - زراعة العظام

اذا ما مات شخص مهم او حيوان نافع قام من له علاقة به بزرع عظامه فيتحول الى نبات ينشق هذا النبات عن كائن حي انسانا او حيوانا او طائرا . فقد كانت الاقوام لا تفرق بدقة بين انواع الحياة المختلفة فانها كانت تتخيل ان الحيوان كالنبات يخرج من الارض وله جذور فيها فالارض هي أم الاشياء وتشبه حياة الانسان بحياة الشجرة واذا قل نمو النبات فانهم يقدمون بكر المواليد واول الفواكه في المعابد . وتصوروا ايضا ان اصل الحياة والاشياء من اتحاد الهواء والتراب والماء بمساعدة الشمس . وان

تموز (او ادونيس) قد ولد من شجرة من اشجار المر اذ حبلت به الشجرة لعشرة اشهر ثم انشق لحاؤها عن الطفل الجميل .

١٩ - الشـــفاعـة

كان الانسان القديم يتشفع لدى الالهة الصغار او شبيه الالهة الكبار : فنجـد مثلا ان شـخصا اسمه آبل ادو يتوسـل الى الهــه الحامي ان يكتب الى الاله مردخ لكي يزيل عنه علته . فانصاف الهة الامس هم دروايش اليوم .

٢٠ - البحث عن الخلود

ظـل الانســان يبحث عن الخلود وما زالت الناس تعتقـد ان هناك ماء الحياة اي ماء الخلود . واول من بحث عن كلكامش كما هو معلوم غير انه خـــاب عندما سرقت الحية نبات الخلود منه . غير ان الانسان لم ييأس لان انســانا غيره قد خلد الا وهو جـد گلگامش اوتـونبشـتم فجـرت محـاولات اخـــرى كالاسكندر والخضر . والناس الى يومنا هذا تعتقــد ان الخضر ما زال حيا وهو يسكن المياه . فالمياه اصل الحياة .

٢١ - محافظة الجني على زوجه ومنعه من الهرب بمختلف الوسائل

فهو اما ان يمسخه حيوانا او يحبسه في غار او في قوطية (اي علبة) لئلا يهرب منه . لان الزواج من الجـن يجلب التعـاسة كما حصل لرغبة عشتار في الزواج من تموز فعـدد لهـا المصـائب التي اصابت عشاقها . اما قتل اولاده فهـي من مرحلة سـيادة الابوة في المجتمع وان الاولاد لابيهـم لا لامهــم . وان الولد يقتل اباه

الجني وأمه المتزوجة منه ويعين خاله فهو المحافظة على الشرف وعفاف البنت .

٢٢ - اشجار تحمل الدر والياقوت والاحجار الكريمة

وردت في رحلة كلكامش في رحلة مخترقا غابات الجبل فمر في تلك البستان العجيبة .

٢٣ - الافعى والعربيد والزواج بها

الانسان البدائي والاغريقي الاول وقبائل افريقيا اليوم يظنون ان ارواح من غادروا هذه الدنيا تسكن في الافاعي . وكان الاغريق يعتقدون ان النساء يحبلن من الاله الافعوان .

٢٤ - النسر

ورد هذا النسر شعارا لمدينة لجش وهو الطائر المقدس المسمى ام - دوكد وقد ورد في الحكايات ان النسر يخطف البنات ليزوجهن والبطلة تخشى الزواج من ابناء الجن لان اولادها سيكونون من ابناء الشياطين وقد يكونون من المخلوقات الضارة المؤذية .

هذا وثمة موتيفات ترد في الحكايات العراقية وهي كثيرة لعلي سأعود اليها في حين آخر .

المراجع

١ ـ طه باقر ـ مقدمة في تاريخ الحضارات ـ بغداد ١٩٥٥
٢ ـ جيمز فريزر ـ أودنيس ترجمة جبرا ابراهيم جبرا بيروت ١٩٥٧
٣ ـ طه باقر ـ ملحمة كلكامش ، بغداد ١٩٦٢ .
٤ ـ Jataka Tales, Francis. Bombay 1956
٥ ـ Folk-Ways- W.G. Summer, U.S.A 1960
٦ ـ التراث الشعبي عدد ١٠ ـ ١٩٧٢ بثينة الناصري النموذج والجزئية

٤

الحكاية الشعبية في الفولكلور العراقي[1]

الليدي دراور

ترجمة كاظم سعدالدين

طلب الي ان اتحدث اليكم هذه الليلة عن موضوع الفولكلور وخاصة الحكايات الشعبية العراقية . ولا اعتقد ان ثمة موضوعا اكثر امتاعا وتسلية من ذلك ، غير انه يفتح لنا ميدانا رحيباً ليس لي فيه طاقة او فيه اكثر من ان اقدم لكم لمحة عن الكنوز التي تنتظر علماء الفولكلور في هذا الميدان البكر . فكما انه ما زال تحت ارض العراق ثروة لعالم الآثار لم تمسها الايدي لحد الآن فان هناك على شفاه الناس في بلد كان الى زمن الحرب الاولى منعزلا عن التأثير الغربي ، هناك تراث لا بد ان يرجع في اصوله الى اعرق العصور في تاريخ البشرية ، لقد سمي العراق بمهد الانسانية ، وعلى هذا فان المرء يتوقع ان يجد بقايا ترانيم السرير وحكايات تسلت بها البشرية في عهد طفولتها لان الفولكلور في كل بلد اعرق من التاريخ نفسه وبقول آخر انه يتضمن نتفا من الاساطير والدين والتقاليد والملاحم ، وهي اقدم بكثير من الحكايات الخرافية التي تكسوها . لقد اصبح التحليل الذكي للفولكلور علما معترفا به في العصر الماضي ، غير ان الناس ادركوا اخيرا انه قد يكون ثمة قطع ثمينة مختلفة ذات قيمة عالية لطلاب التاريخ وهجرة

الاجناس البشرية والانثروبولوجي وعلوم الانساب .

لا بد ان فولكلور العراق قد تحدر من مصادر كثيرة مختلفة لان العراق كان واحدا من الطرق التجارية العالمية وميدانا للمعارك والحروب . فقد كان في يوم من الايام الطريق الرئيس المؤدي الى الهند والصين والشرق الاقصى . وقد تدفقت عليه موجة بعد اخرى من الهجرات والفتوحات . والاستيطانات . نجد عند فجر التاريخ ان السومريين الفاتحين يحتلون العراق الجنوبي ، ويليهم فاتحون ومستوطنون آخرون هم الكدانيون والكاشيون والاشوريون والفرس والعرب والاتراك . وقد شارك كل جنس بدوره بشيء من المعتقدات الدينية والتقاليد والملاحم والتراث الفولكلوري العراقي . ليست الاجناس الفاتحة فقط هي التي قامت بدورها وانما آخرون ايضا فقد استخدم التجار العراق طريقا تجاريا من البحر المتوسط الى الشرق الاقصى ، وقد اضاف الزنوج والمصريون والهنود والغجر الى فولكلور العراق ونشروه . ويجب ان يؤخذ العبيد بنظر الاعتبار ما داموا منذ ايام السومريين كانوا يستوردون من الشمال ومن افريقيا . لقد كان العبيد دائما رواة قصص عظماء لان جزءاً من واجب العبد ان يسلي اسياده واخيرا فاننا نجد في العصور الاسلامية قوافل الحج السنوية تمر به ذهابا وايابا ، ونجد ايضا مقرات للحجاج في المدن المقدسة مثل كربلاء والنجف .

وعلى هذا فليس من المدهش ان كان فولكلور العراق وحكاياته ذات طبيعة مركبة . اني سمعت مرات عديدة حكايات لابد انها ذات اصل هندي او بوذي واحيانا حكايات ليست فقط قريبة من تلك الحكايات التي جمعها الاخوان كريم وغيرهما من الفلاحين الالمان في القرن التاسع عشر ، انما هي مشابهة لها في الشكل والاسلوب[٢] . وانه لمن المذهل حقا

ان تجد شبيها في ترانيم الاطفال العربية من (الام وزة)

لدى تركيزي على هذا النوع الخاص من البحث فاني اكتشفت مدى المتعة في البحث عن الحكايات الشعبية . انها لم تجعلني فقط على اتصال وثيق بعدد كثير من الناس بل اعطتني الحجة للتجول في البلد واختبار الضيافة الساحرة لابناء العشائر وشيوخها . على انه طبعا قد يجر البحث عن الفولكلور الى مضايقات فمثلا لو جلس المرء دون تكلف في خيمة البدوي على حصير العائلة فانه يضطر ان يلتقط شيئا من الاخبار .

هناك ، طبعا ، مجموعة راقية مكتوبة من الحكايات العربية ، الا وهي الف ليلة وليلة . سمعت بعضها يحكيها اناس اميون في العراق واظنكم تتفقون معي على انه من الممتع ان نجد التراث الشفوي يقترب كثيرا من الكلمة المكتوبة . غير ان قليلا من الحكايات التي تحكى تشبه كثيرا الحكايات التي جمعها الاخوان كريم والاخرون في اوربا الشرقية .

ان فن حكاية الحكايات ، وهو عريق في الشرق ، آخذ بالانهيار والتدهور في العراق ، وقلما تجد في المدن من الجيل الحاضر من له هذه القابلية وقد لا تجده[٣] . لقد كانت رواية الحكاية حتى قبل عشرين سنة مهنة مربحة ومأثرة حميدة . فكان القصاصون يجلسون في المقاهي والاسواق ويكافأون بالمال والهدايا على حكاياتهم وقصصهم . وكانت القصاصات من النساء على الرحب والسعة في الحرم . هذاوقد حلت السينما والگرامفون محل القصاصين[٤] في المدن رغم وجود بعض العبيد المسنين لدى اغلب العوائل ، او الخدم ، او الاقرباء ، يحكون الحكايات في مجلس العائلة . وحتى هؤلاء قد اصبحوا قلة ، وسيصبح التراث الذي تتناقله الشفاه جيلا عن جيل تدريجيا شيئا منسيا تماما .

واذا اضفنا الراديو الى السينما والگرامفون فان عملية النسيان سوف تزداد سرعة لان العراق يفيد سريعا من جميع المخترعات : وسوف يصغي

ابناء العشائر انفسهم في البادية الى الموسيقى الغربية .

ان ابرع القصاصين هن النساء ، واغلبهن اميات ، غير اني استطعت ان اجمع حكايات من جميع الانواع ومن جميع طبقات المجتمع . من رئيس وزراء ومعلمين ونساء مسلمات ومسيحيات وخدم وعبيد ، وبدو وبدويات جمعت مادة من بغداد والموصل والبادية الشمالية في الموصل . ولكني مع الاسف لم اجمع شيئا من البصرة وجنوب العراق . اخبرني جون فان اس صاحب كتاب S poken Arabic of Mesopotamia ان الجنوب يزخر بالحكايات وان طقوسا بين العبيد في البصرة هي شيء يستحق الدراسة .

لقد وجدت احسن راوية للحكاية امرأة مسيحية تخدم في بيت احد الاثرياء . ولما سمعت انها متعودة على سرد الحكايات لمستخدمتها واطفال البيت استطعت ان اجعلها تأتي الي . كانت امية عوراء بين الخمسين والستين ، ممثلة بارعة لانها كانت تستعمل الايماءات وتغير صوتها بما يناسب الشخصيات التي تصفها . اخبرتني انها تلقت حكاياتها عن جدتها التي كانت مولعة بسردها ، واخبرتني ايضا انها سمعت هذه الحكاية عندما كانت صغيرة . وانها لا تتذكر غيرها بهذه الجودة ..

ومن القصاصات البارعات سيدة مسلمة من اصل بدوي كانت تروي حكاياتها بمهارة وبراعة فائقة . لقد رأيت الدموع تترقرق في عينيها عندما كانت تحكي عن حادثة مؤلمة محزنة . لقد وجدت بين ابناء البادية احجاما عظيما عن حكاية القصص او ذكر الجن او المخلوقات الخارقة في وقت النهار فان مجرد ذكرها يعني استدعاءها . ولما سألت امرأة يوما همست : «ما اكدر بالنهار احچي لچ ، خلي يجي الليل» . وفي بغداد قول مؤداه : اللي يسولف بالنهار ينباك لباسه بالليل» . وكذلك لما

سـألت امرأة بغـدادية عن مخلوق غير مرئي اسمه التابع[٥] وهو نوع من الروح يتبع كالظل صاحبه ، فانها كانت حذرة وسكتت حـتى ان سـيدتها ضحكت قائلة : تخاف تجيب التابع بالطاري حتى لا تأذيها ..

واليكم الآن شكل الحكايات :[٦]

اعتاد ، قبل البدء ، ان ينطق الراوية هذه الافتتاحية :

هناك ما هناك يا عاشقين النبي صلوا عليه .

فيجيب عليه المستمعون بصوت موحد :

« الف الصلاة والسلام عليك يا رسول الله »

وكل من المسلمين والنصارى يستعملون هذه الصيغة :

« كان ما كان . على الله التكلان »

وهناك عبارات تقليدية تأتي في سـياق الحكاية وفي خـاتمتها باللهجـة العـامية مثل : كنا عـندكم وجينا ، والدف مگرگع والعـروس حـزينة . او : هذي الحچاية نصها چذباية .

ولو بيتنا گريب كنت اجيب الكم طبگ حمص وطبگ زبيب .

اني اصـنف الحكايات عموما الى حكايات الطفـولة بانواعهـا وحكايات الحيوان وحكايات من طراز خـرافات الاخـوين كريم واخـيرا الطرف التي يسردها عن كائنات خـارقة اناس يعتقـدون بصـحتها وصـدقها . هناك فرق واحـد عظيم بين الحكايات الخـرافية التي تحكى للطفل العـراقي وبين الحكايات التي تحكى لاطفـال الانكليز . فالمربية او الام الانكليزية لا تعتقد بوجـود الجنيات ولا العفـاريت . بينما القصـاصة العراقية تعتقد بذلك . تعتبر بالنسبة للغالبية العظمى من اهل العـراق ، عدا قلة من المثقفـين : هذه المخلوقات الخـارقة المتنوعة التي تظهـر في الحكاية شـيئا حقيقيا موجـودا . ومن الناحية الاخـرى فاني عشـت من عشر سنوات الى هذا الوقت في بغـداد ولم اسمع حكاية عن شـبح . واذا

سمع المرء عن بيت «مسكون» فلا يعني هذا انه مسكون بالموتى بل بالجان . لقد سالت بعض النساء عن السبب وكان جوابهن من هذا القبيل : «ليش يرجع المياته اذا ماتوا يروحون لدار حقهم .» انه شيء غريب لان السومريين والبابليين كانوا شديدي الاعتقاد بالاشباح وكانوا حريصين على استرضائها . ومن الطبيعي ان يتوقع المرء وجود اثار مثل هذا الاعتقاد بالاشباح باقية الى يومنا هذا . غير انه ليس ثمة ذلك بالضبط .

سأروي لكم عن بعض المخلوقات الخارقة التي ترد في الخرافة والحكاية . انكم تعرفون الجني الذي يغلب وروده في حكايات الف ليلة وليلة وكذلك الغول والعفريت . ولعلكم لم تسمعوا شيئا عن الجن والعفاريت التي تسكن ارض العراق الا وهي السعلوة والديو والدامي وام الصبيان والصير والطنطل والقرينة .

تحتل (السعلوة) الدور نفسه في الخرافة العراقية كالذي تحتله الساحرة او الغول في الحكايات الخرافية الغربية : السعلوة مخلوق مائي لأنها تسكن اما في الانهار او في الكهوف او في الزور قرب مجاري الانهار ويكسو جسمها شعر طويل ، وثدياها متدليان يصلان الى ركبتيها وعندما تريد ان ترضع اطفالها الذين تحملهم على ظهرها فانها ترمي ثدييها لهم فوق كتفيها . وهي تشبه المرأة في شكلها ، ولكنها تشبّه احيانا بان لها ذيل سمكة بدلا من الساقين . وهي مولعة باللحم البشري . غير ان لها في الوقت نفسه ميلا لعشق ابناء البشر . هي مثل بقية مخلوقات الله عدا الملائكة تموت وتخاف الحديد (والشيء بالشيء يذكر فان هذا الخوف لدى المخلوقات الخرافية يعتقد انه يرقى الى العصور التي خلقت فيها الادوات المعدنية والادوات الحجرية . ان الدين دائما خير حافظ . ولا شك ان الالهة والعفاريت اصرت على استعمال الآلات الحجرية بعد مدة طويلة

من استعمال النحاس والحديد بعده . ان هذا الحفاظ للذوق ليدل على كراهية للحديد) .

نعود الى السعلوة : اني اميل للاعتقاد ان هذا العفريت اسطورة مركبة تألفت من طقوس عبادة احدى الالهة النهرية القديمة ومن احدى النوادر الافريقية التي حكاها العبيد عن القرود الكبيرة . ويمكن ان اسرد عليكم نادرة تؤكد ذلك : كنت ذات يوم اتحدث مع رئيس خدمي البحراني عن السعلوة وقلت له : هل توجد مثل هذه المخلوقات في البحرين؟ فاجاب نعم . وانها تهاجم الناس احيانا في الصحراء . وسألته : هل رأيت يوما واحدة منها ؟ فقال : نعم . فسألته : اخبرني كيف واين ؟ فاجابني : في لندن . عندما ذهبت اليها عند نهاية الحرب ، وعندما الححت في طلب التفاصيل واصل قوله : «اخذنا احدهم في يوم من الايام الى احدى الحدائق الكبيرة حيث توجد حيوانات كثيرة . وكانت هناك السعلوة . رأيت اثنين منها : ذكرا وانثى في قفص . ولم يسمح لاحد بالاقتراب منها الا رجل انكليزي حارس لهما » . فقلت له : ان ما رأيت يا مبروك هو القرود . فأجاب لا يا خاتون ، رأيت القرود قبل ذلك . فقد كانت تلك ذات طبيعة بشرية .

ومن عفاريت النهر ، آخر يدعى «فريج الاگرع» وهو مولع بالتحايل على المساكين صيادي السمك ، والساكنين قرب الانهار . غير انه لا يبدو انه من المخلوقات الخطرة كالسعلوة . وهو مثلها له اما ذنب السمكة او ساقان ضعيفان . ويشبه الرجل العجوز غير ان رأسه احمر واقرع وشعر لحيته اخضر . اخبرني مرة بدوي من شمر ان شيخا كان قد نصب خيامه قرب الفرات لاحظ ان فرسه التي كانت سابقا قوية لا تتعب قد اصبحت هزيلة خائرة ، فلصقت قيرا على ظهرها ذات ليلة . فوجدوا

«فريج الاكرع» في الصباح مفرشخا يصارع عبثا من اجل ان يهرب بعد ركبته الليلية . فهجم عليه جماعة الشيخ وقتلوه بخناجرهم .

حكت لي امرأة بغدادية عن كيفية استدعاء عمها من نومه في بيته على النهر ذات ليلة بصوت باك يصرخ من النهر : «لخاطر الله . راح اغرگ طلعوني !» فذهب عمي الى جرف النهر ورأى صبيا يبدو عليه انه يغرق فمد اليه يده لانقاذه غير انه اخرج له لسانه واختفى تحت الماء ضاحكا عليه . فعرف انه فريج الاكرع .

اما «الدامي» فهو غولة ، نصف وحش ، ترتاد اطراف المدينة ، انها مثل العفاريت البابلية والاشورية وطعامها المعتاد الاوساخ والنفايات من كل نوع رغم انها يعجبها ايضا اللحم البشري ، انها في الحكايات الشعبية العراقية تقوم بالدور المخصص في الحكايات الشعبية الاوربية للذئب . وعلى ذكر الذئب يترتب علي ان اقول لكم ان لهذا الحيوان سمعة غريبة في الفولكلور العراقي . فاذا رأى جني او جنية ذئبا فانهما لا يستطيعان ان يختبئا تحت الارض ، وان الذئب ايضا قادر على القبض على هذه المخلوقات الخرافية واكلها كما يقبض على الانسان ويقتله . وقد ينادي جني تبعه ذئب ويطلب العون من انسان فاذا ما قتل الانسان الجني فانه غالبا ما يتلقى مكافأة خرافية . يوجد اليوم رجل في دمشق يدعي انه تلقى هدية سحرية لرؤية الناس البصيرين مكافأة له لقتل ذئب وانقاذ جنية اسمها «نجمة» ولديه عملاء كثيرون من البدو والبسطاء الذين يدفعون له اجرة عن اخبار اقربائهم البعيدين . لقد التقيت برجال من قبيلة شمر كانوا قد فعلوا ذلك . فقالوا انه كان يكلم «نجمة» بعد ان يرفع طرف البساط ويهمس في الارض : وس وس وس .

يقول العرب ان الذئب يموت آخر الخلائق في نهاية العام : والمرأة الشمرية «تلولي» لطفلها كي ينام عند المساء بهذه الترنيمة :

«بسم الله اسم الذيب الخطيب على كلبك»

وبهذا تتضرع باسم الذيب بعد اسم الله لتطرد الارواح الشريرة . وتستعمل مخالب الذئب واسنانه وعيونه احرازا . ولكل منها ميزته الخاصة . ولا يسعني الآن ان اعددها .

المخلوق الآخر في قائمة العفاريت الاناث المغيظة المتعطشة دائما للحب والعاطفة وتحاول ان تسرق حب الزوج لزوجته او لمعشوقته ، ويعتقد انها تقتل الاطفال وتسحرهم ولدي حرز ذو سحر خاص كتب لطرد ذلك المخلوق وهو ام الصبيان .

ساقرأ لكم ما اخبرني به بدوي من شمر ذات مساء عندما كنا جالسين في خيمة الشيخ في البادية . اخشى ان يكون قد كذب علي . غير ان البدو الاخرين كانوا يصغون اليه فاغري الافواه مصدقين كل كلمة منه تحدث عن جنية الا وهي (القرينة) قال :

كنت اعيش في نجد قبل خمس وعشرين سنة ، ولما كنت هناك تكلمت مع جنية . والله لقد وضعت يدها على كتفي . كنت ذات ليلة خارجا من بيت ابن رشيد في حايل وعائدا الى بيتي . وبعد مسيرة تقرب من ربع ساعة رأيت على ضوء البدر بنتا جالسة في الطريق . كانت جميلة جدا ، اجمل من بنات الانس وتلبس الحرير والاساور والحجول والمحابس الذهب وتضع على كتفيها عباءة شيخ بيضاء . كانت كالقمر . قامت وتبعتني وكلمتني وقالت : السلام عليكم يا صالح . نادتني باسمي كأنها تعرفني منذ عشرين سنة . فقلت لها من اي عرب انت ؟ فاجابت من قرية الناصية على بعد ساعتين . من بيت ابن رشيد . انا ضيفتك .

فقلت لها مكرما : اهلا وسهلا .

ومشت معي الى بيتي وقلت لها : «انا خائف على سمعتك ايتها المرأة . امشي ورائي بمسافة دقيقتين حتى نصل البيت» . فقالت : «ماذا

بهم ؟ ان الوقت ليل ولن يرانا احد» .

وكان الوقت فعلا الساعة التاسعة والنصف ليلا . كنت احمل سيفا بيدي . ومشينا جنبا لجنب . ولكنها وضعت يدها على كتفي وبعد قليل عادت ووضعت يدها على كتفي وطوقت رقبتي بذراعيها . كانت يدها ناعمة لطيفة كالقطن . وكان يفوح منها طيب الزهور والصندل .

فقلت لها : يا بنت ارفعي يدك عن كتفي اخاف ان يرانا احد لأني مدعو الى مجلس من الاصدقاء وهم بانتظاري في احد البساتين وان رآني احدهم فان ذلك عيب وخزي علي .

فرفعت يدها ومشينا حوالي دقيقتين . ثم رأيت احد اصحابي ينتظرني في الطريق فقلت لها : ايتها المرأة ، امشي ورائي لان رجلا من اصحابي ينتظرني في الطريق واخشى ان يراك .

ومشت خلفي قليلا . وجاء صاحبي وسلم علي وقال : تفضل ادخل جميع الاصحاب ينتظرونك .

فقلت له : اني ذاهب الان الى البيت لابدل ملابسي ثم ساعود .

وكان بيتي على بعد قريب من ذلك الصديق ، ولما دخلت رأيت المرأة تدخل خلفي . ورآها صاحبي وحاول ان يمسكها غير انها دخلت الارض وهي تصيح : صالح يا صالح .

وناداني صاحبي وقال : ان المرأة التي تبعتك من بنات الجان .

فقلت له : ان هذا غير صحيح . انها من بنات الانس . وليست من بنات الجن .

فجلب الفانوس الى المكان الذي دخلت فيه الارض . وكان هناك في تلك البقعة من الارض قطعة من القرع بيضاء ناعمة غير متربة . فاضطربت وشعرت بالدوخة والخوف ، لانها وضعت يدها على كتفي . اما صاحبي الذي حاول ان يمسكها فقد تمرض وكاد ان يموت .

والى هنا اكتفي من الحكاية التي بيَّن فيها ان القرينة ظهرت له في بيته عدة مرات ليلا وراودته عن نفسه ، ولو ان زوجته نائمة جنبه . واخيرا استعان بخاله الذي كان يعرف كيف يطرد الارواح الشريرة . وجاء الخال . وقال صالح (جلب خالي كتبه وقرأ التعازيم . وعزم جميع السلاطين الجن . وقال يا فلانة بنت فلان . لا تأتي لاذية صالح والا فأني سوف اصيبك اصابة لا تطيب ..

قال خالي ذلك تحت البساط ولم تأتني من تلك الساعة) .

اما (الصير) فلا يعرف في جنوب العراق بل تعرفه قبائل البادية الشمالية وهو يسكن الاماكن المنعزلة والخرائب وخاصة «الحضر» وقد وصفه بدوي من شمر بأنه مثل شيخ مسن ذي لحية تصل ركبته وله اسنان من حديد طويلة جدا واظافر رجليه من حديد ايضا . وقال انه يأكل البشر .

اما (الطنطل) فهو من عفاريت المدن ويرتاد الطرق ويترصد للسابلة ويقفز على اكتافهم من الخلف[٧] او انه يضايقهم ويشبه عموما مخلوقا هائل الطول بشع الخلقة . وقد اخبرتني امرأة بغدادية ان قبر بنت الحسن في بغداد يرتاده طنطل . وان عمتها ذات مساء كانت تسير قرب الضريح عندما رأت شخصا طويلا للغاية . كان طنطلا . فمشت جانبا وخطا هو ايضا جانبا ولم تستطع تجنبه او التخلص منه فكان يتبع خطاها فبدأت تصيح «بسم الله الرحمن الرحيم» فابتعد .

اما (الغول) فهو شيء مختلف في بغداد لان هناك حيوانا خارقا يرتاد المقابر وينبش الموتى ويأكل عيونهم . وغالبا ما يهاجم الاحياء ويمزق عيونهم ايضا ويسمى «بزبز الگبور»[٨] (قط القبور) . كنت اعتقد احيانا ان ذلك وحش بري يزعج الموتى . غير انهم يتكلمون عن (البزبز) كأنه مخلوق خارق . ويحاولون تجنب ذكر اسمه الا بتعبير غريب . لقد قلت ان

ذكر الارواح يعني دعوتهـا ، وايضـا ذكر الشيء المشـؤوم . فمثلا لا يذكر الانسان المعتقد بالخرافات ، الحية ، بل يقول : «حبل» بدلا من ذلك .

اعتقـد ان في الوقت متســعا ان اتلو عليكم حكاية او حكايتين كمثل . وسأبدأ بحكاية اطفال تشبه كثيرا حكاية من حكايات «الام وزة» وتسمى حكاية العنز والعجوز .

«هناك ما هناك : غير ذيج العجــوز . عدها عنز . چـانت تعيش بكوخ طين وبنص الحوش اكو بير . فد يوم گامت الدنيا تمطر . ومن كثر المطر خر السگف . گامت العجوز للعـنز وگالت له : يا عنز راح نتبلل تعال ننزل بالبير .

جاوبها العنز : ما انزل

گالت له العجوز : ما تنزل ؟

گالت له : اروح اصيح الگصاب حتى يذبحك ؟

گال لها : روحي

راحت العجوز للگصـاب وگالت له : امشي وياي اذبح عنزي . ما يريد ينزل بالبير .

الگصاب گال لها : ما أجي بها لمطر روحي .

گالت له : اروح اجيب الحداد يعمي سچاچينك .

گال لها : روحي .

راحت للحـداد گالت له : تعـال اعمي سـچاچين الگصــاب . الگصاب ما يريد يذبح عنزي . وعنزي ما ينزل بالبير .

گال لها : روحي ما اجي بها لمطر .

گالت له : ترى اروح للشط يطفي نارك .

گال لها : روحي .

راحت للنهر وگلت له :

يا شط تعال طفي نار الحداد
الحداد ما يريد يعمي سچاچين الگصاب
والگصاب ما يريد يذبح عنزي
وعنزي ما يريد ينزل بالبير .
گال لها الشط : روحي ما أجي بها المطر
گالت له : ترى اروح للبعير حتى يشربك .
گال لها : روحي
راحت للبعير وگالت له :
يا بعير يا بعير . تعال اشرب الشط
الشط ما يريد يطفي نار الحداد
والحداد ما يريد يغمي سچين الگصاب
والگصاب ما يريد يذبح عنزي
وعنزي ما يريد ينزل بالبير
وگال لها البعير : روحي ما أجي بها المطر .
گالت له : ترى اروح اجيب لك الحبل يخنگك .
گال لها روحي .
راحت للحبل وگالت له :
يا حبل ياحبل تعال اخنگ البعير
البعير ما يريد يشرب الشط
والشط مايريد يطفي نار الحداد
والحداد ما يريد يعمي سچاچين الگصاب
والگصاب ما يريد يذبح عنزي
وعنزي ما يريد ينزل بالبير
گال لها الحبل : روحي ما اجي بهالمطر .

گالت له : اروح اجيب لك الفار يگرضك ؟
گال لها : روحي
وراحت على الفار وگلت له :
يا فار يا فار تعال اگرض الحبل
الحبل ما يريد يخنك البعير
والبعير ...
والشط ...
والحداد ...
والگصاب ...
وعنزي ما يريد ينزل بالبير
گال لها الفار : روحي ما اجي بهالمطر
گالت له : واذا جبت لـك الهر ياكلك ؟
گال لها : روحي .
راحت على الهر وگالت له :
تعال يا هر أكل الفار
الفار ما يريد يگرض الحبل
والحبل ...
والبعير ...
والشط ...
والحداد ...
والگصاب ...
والعنز ما يريد ينزل بالبير .
گال الهر : وين الفار ؟ دليني عليه !
من راد الهــر يگمز على الفــار گله : لا . لا . راح اروح اگرض

الحبل والحبل گال : لا . لا . راح اروح اخنگك البعير
والبعير گال : لا . لا . راح اروح اشرب الشط
والشط گال : لا . لا . راح اروح اطفي نار الحداد
والحداد گال : لا . لا . راح اروح اعمي سچاچين الگصاب
والگصاب گال : لا . لا . لا راح اروح اذبح العنز
والعنز گال : لا . لا . ونزل بالبير ونزلت العجوز وراه» .

اما الحكاية الثانية فهي خرافية وغالبا ما تروى عمن يتسرع ويندم بعد ذلك .

والحكاية اسمها «العصفور وزوجته» وقد حكتها لي سيدة عجوز مسلمة من الموصل .

«كان هونك عصفوغ مزوج وعيش سعيد على سجغة . غاح فغد يوم وجاب سبع حبيات حنطة لنو كان يغيد يعمل عزيمي . جاب الحبيات المغتو وطاغ حتى يعزم العصيفيغ لكنو تعوق وانتظرتو مغتو كثيغ . جاعت واكلت السبع حبيات وحدي وغا اللخ . لما خلصت جا زوجا والخطاغ معانو وقلا : جيبي السبع حبيات نحنة جواعي قلتلو : تعفيني يا زوجي انت تعوقت وانا تعبتو وجعتو . قمتو اكلتو السبع حبيات .

زعل عليا وطلقا بالثلاث قدام ضيوفو وقال ثلث مرات : انت طالق يامغة . وطاغت لاهلا وطاغوا الخطاغ لاهلم وظل العصفوغ وحدو وتندم لنو استعجل ولنو يحب مغتو . وطاغ بعد شوية لسجغة اللي تسكنها هي واهلا ووكغ على فرع .

قالت العصفوغة : منو وكغ على سجغة أبويي ؟

جاوبا العصفوغ : انا يا حبابتي الحلوييا ام منقاغ الزغيغ والغيش النيعم والاظيفيغ الازغيغي . انا اغيد ارجعك وتجين ع البيت .

لكن هي قالتلو : غوح ارجع منين ما جيت .

وظل العصفوغ يغوح ويجي كل يوم لكنو فغد يوم من الصبح غاح للخياطة وقلا : اغيد خيط اخضغ وخيط اصفغ وخيط ازغق وخيط احمغ وخيط ليلاكي . عطتو خمس خيوط ملوني ، اخذا وشالا بمنقاغو وطاغ بيا الى سجغة مغتو . صاحت المغة : منو نزل على سجغة أبويي ؟ جاوبا العصفوغ : انا ياحبابتي الحلوي يا ام منقاغ الزغيغ والغيش النيعم والاظيفيغ الازغيغي . انا اغيد ارجعك وتجين ع البيت .

لكن هي ما جاوبتو : سأل ابوا قال : جبتولا خيط احمغ واخضغ واصفغ وازغق وليلاكي ، تعطينيا لو اغوح بلياها ؟

قامت هلهلت وطاغت عندو . واخذت الخيوط بمنقاغا ورجعت معانو للعش . وحاكت الخيوط . واشتغوا حب وعملوا عزيمي لكل رباعم»[٩]

واخيرا ان لم تضجروا فسوف اتلو عليكم حكاية الزيارة الى احد الاضرحة . واسمها حكاية الرجل الفقير :

«هناك ما هناك غير ذاك الرجل الفقير لكن حظ ما عنده : مرته تخونه وولده نهبوه . ومن ابيضت لحيته شاف نفسه لا مال ولا شرف . يوم من الايام سولف لصاحبه بالسوگه على حظه الاعوج . گال له صاحبه : ليش ما تروح تزور الكاظم باب الحوايج بجاهه ينطي جهال للماعدها جهال وفلوس للمعتاز وحظ للماعنده حظ .

گام الرجال واخذ عصاه وشويه خبز وطلع ثاني يوم وبعد مامشه الا شوية ما شاف الا هذاك السبع لازم راسه بيديه ويصيح من الوجع . هذا الرجال الفقير چان رحيم وگلبه ما ينطيه يشوف حيوان يتأذى . وگف وسأل السبع : شبيك اتصيح ابو خميس .

جاوبه الرجل : انا رايح للزيارة اشوف چاره لحظي .
گل له السبع : والمن رايح تزور ؟
جاوبه : رايح ازور گبر الكاظم .
گل له السبع : اذا رحت لهناك ما تشوف لي دوه لوجع راسي ومن ترجع گل لي ؟
گل له : ممنون وحلت البركة .
مشه الرجال بدربه وما شاف نفسه الا على ذاك الغدير . چان السمچ يلعب . يطمس ويطلع ، الا سمچه چبيرة مطوفه .
- سلام عليكم . ما دگلي لي شبيچ ما تسبحين مثل ربعچ .
گالت له السمچة : آنه بيه فد مرض وما اگدر انزل بالمي . خلاني مطوفة بالشمس . انت وين رايح ؟
گال لها الرجال : انا رايح ازور الكاظم حتى اشوف چارة لحظي .
گالت له السمچة : يابه ما تذكر مشكلتي عند ابو الجوادين ؟
وگال لها : ما يخالفه ان شا الله ما انسه .
ومشه بدربه يوم يومين . وصل لفد مكان . شاف تلث رياجيل يحفرون وعرگهم يهوشل .
- السلام عليكم .
- وعليكم السلام .
سألهم : ما تگولي ليش دتشتغلون بهالصلاية .
- والله ابونا خلف لنا هذي الگع وگال راح تحصلون من وراها ثروة چبيرة . ومثل ماتشوف نحرث ونفلح بالمسحاة والفدان مثل ما گال لكن الگع صبخ وما بيها فايدة . انت وين رايح ؟
- انا رايح للكاظم اطلب من الامام ينطيني مرادي ويشوف چارة لحظي .

سألوه : الله وَياك . اندعي لنا من تصلي ياعم حتى لا يضيع تعبنا .

وعاهدهم يندعي لهم : ما يخالف .

بعد چم يوم وصل ولاية الكاظم . وزار الامام وصلى . اليوم الثالث نايم يم ضريح موسى الكاظم . طاف عليه بالنوم رجال معتبر لابس عمامة خضرة تبين عليه الهيبة . عرف هذا الامام . گال له الامام :

- السلام عليك يا ولدي شتريد اسوي لك حتى اسعدك بالدنيا والاخرة ؟

الرجال الفقير جاوبه - الصلاة والسلام عليك : گبل ما اگلك مشكلتي اريد احچيلك مشكلة الاخوة الثلاثة اللي شفتهم بدربي .

سولف له قصتهم . گله : هذي سهلة . لازم يحفرون بنص الگع ، يلگون صندوگ مرمر . بيه خزنه . هذي وصية ابوهم . وانت يا ابني شنو مشكلتك گال له الرجال الفقير : لكن بعد عندي وصية اريد اگولها : شفت سمچه ما تگدر تطمس جوه بالمي . مطوفة فوك بالشمس . طلبت مني اسألك عن مشكلتها .

گل له الامام : اسمع . صيحها للجرف واضربها على راسها بعصاك تصير زينة . وهسه شنو طلبك .

گل له :بالله شويه . عندي بعد مسألة غيرها . ارد اعرضها عليك هي مسألة ابو خميس اللي صار يجي شهرين لا يگدر ياكل ولا ينام .

جاوبه الامام گال له : مسألته سهلة . ياكل راس واحد اثول ويطيب بالعجل :

گل له : وهسه جيتك على نفسي .

- ارجع بالسلامة هسه ذكرت لك كل شيء ينفعك ويخلص مشاكلك .

خلص الطيف . تحضر الشايب حتى يرجع لاهله باله مرتاح . وصل للاخوة الثلاثة سلم عليهم . وصل لهم كلام الامام . لما سمعوا الحجاية ، اخذوا مساحيهم وحفروا بنص الگاع وشافوا صندوگ مرمر مثل ما گال الامام . من فكوه ، شافو متروس ذهب وجواهر . وگالو للشايب : انت السبب بكل هذي الثروة . لازم تشاركنا . اخذ نص الكنز الك ونص النا .

جاوبهم الرجال الفقير : لا ما يصير . ما يحگ لي اخذ شي من اللي خلف لكم اياه ابوكم . هذا حظكم من الله . دزلكم اياه . انا ماشي بدربي . عافهم وفات . وظل يمشي لما وصل للغدير . شاف السمچة مطوفة على المي مثل ما عافها . صاحها للجرف وخبرها بكلام الامام . وتوسلت بيه يضربها على راسها .

گام ضربها ضربة قوية . ما شاف الا طلعت من راسها درة چبيرة على الجرف . السمچة راحت بالعجل تسبح وتغط ويه اخوتها . صاح عليها الشايب : تعالي . تعالي يختي هذي الدرة مالتچ . ترى يبوگوها الحرامية .

السمچة طلعت راسها من المي وگلت له . شلي بيها . الدر ما يفيدني . مالي شغل بالدر وغطت جوه .

گال الشايب : اخاف تنباگ .

شالها وشمرها بنص الغدير . ومشى بدربه لما وصل لمكان ابو خميس وچان بعده يصيح . جاعليه الرجل الفقير وكل له : ابو خميس ، طاف علي الامام وگلي كل شي .

- احچي لي .

حجاله الفقير سالفته من راسها لساسها فسأله السبع : وشكل لك على حچايتي .

- گل لي ، يا خوي انت لازم تاكل راس فد واحد اثول وتخلص مشكلتك انشاء الله .

گمز ابو خميس عليه واكل راس الفقير .

وانتهت المحاضرة بعد سؤال او سؤالين وشكر سير برسي كوكس السيدة اي اس ستيفنس (الليدي دراور) على محاضرتها الممتعة الذكية فقد كانت موضوعا جديدا أمتع السامعين للغاية .

ملاحظات وهوامش للمترجم :

١) تليت المحاضرة في الجمعية الاسيوية المركزية عام ١٩٣٠ وترأس الجلسة برسي كوكس ونشرت في Journal of Royal Cental Asian Society, Vol . XVIII, 1931 , January - Part I, The Folklore of Iraq , by E . S . Stevens .

(٢) وذلك بتأثير الفتوحات الاسلامية لاوربا الشرقية .

(٣) هذا غير صحيح لانه ما زال في كثير من البيوت من له هذه القابلية . غير انهم بطبيعة الحال يترددون في كشف انفسهم الا لمعارفهم . وخير دليل على ذلك انه ما زال يرد الى قسم الارشيف في المركز الفولكلوري العراقي عدد من الحكايات من مختلف انحاء العراق .

(٤) القصة خون وجمعها القصة خونية .

(٥) القرينة .

(٦) يراجع مقال (في الحكايات الشعبية العراقية) للمترجم المنشور في العدد العاشر ١٩٧٢ من التراث الشعبي للمزيد من المعلومات عن انواع الحكايات وابطالها .

(٧) يقول الناس ان الطنطل «يشنبخ على الماشين» لطول ساقيه اللتين تشبهان الطاق .

(٨) ليس للغول علاقة بالحيوان المسمى (بزيز الگبور) او كما يسميه اهل بغداد ووسط العراق (البزيزه) وبعضهم يطلق عليها اسم الغريري او الغريرية وهذا ليس حيوانا خرافيا .. فلعل لفظي الغريري والغول اختلطا عليها .

(٩) حول الالفاظ الى اللهجة الموصلية الاستاذ عامر توما .. يلاحظ لأجل تسهيل قراءتها تحويل حرف الغين الى راء والواو في آخر الكلمة الى (هاء) ضمير الغائب .

٥

حكايات شعبية عراقية

الجزء الأول

وَرَدَ ذكر هذهِ الحكايات في الفُصولْ السابقة . وَقَد جَمعتُها من منطقة الخالص في محافظة ديالىٰ كَما سَمعْتُها من زَوجَتي وَمِن أُناس آخرين . وَكَذلك من منطقة الكرادة الشرقية كما سَرَدَتْها ليّ والِدَتي . وَدَوَنْتُها بالعربية المُيَسرةَ في عام ١٩٥٧ . وَليَسَت الحكايات في هذا الجزء هي الوَحيْدة التي لَديّ فهُناك غيرها أرجو أن تَسنَح ليّ فرصة أخرىٰ لنشرها .

ست الحسن
أو
(سندريلا بغداد)

كان لرجل بنت جميلة جداً أُسمها ست الحسن . ماتت أُمها فتزوج أبوها إمرَأة أُخرىٰ وَصار لهُ بنتان .

ذهبت الزوجة ذات يوم مع بنتيها إلىٰ حفلة عرس ولبست أجمل الملابس . وتركن ست الحسن في البيت وأمرتها زوجة أبيها أن تغسل الأواني والصحون وملابس أُختيها ثم تكنس البيت وترتب الأثاث . وقالت لها أخيراً : إذا انتهيت من كل شيء فأملئي حب الماء الفارغ

بدموعك .

وعملت ست الحسنن كل ما أمرتها زوجة أبيها أن تقوم به ثم توجهت الى حب الماء تحت شجرة التوت الكبيرة وراحت تبكي غير ان دمعة واحدة لم تنزل من عينيها . فخافت كثيراً من زوجة أبيها . وسمعت صوتاً يكلمها : - ست الحسن ، لاتحتاري .

فرفعت رأسها الى الأعلى نحو شجرة التوت لأن الصوت جاءها من هناك فرأت حمامة جميلة أكملت قولها .

- ولا تخرجي . إملئي الحب من ماء البئر . وإذا جاءت زوجة أبيك فستجده مليئاً . وان شئت فضعي في الماء مقداراً من الملح فيكون مالحاً كالدموع . أحفري ياست الحسن بجانب البئر تجدي صندوقاً . افتحي الصندوق وإلبسي الملابس والقبقاب الذهب .واذهبي الى العرس .

فلبست ست الحسن أجمل الثياب من الصندوق وغسلت قدميها وانتعلت القبقاب ، فبدت كأنها القمر . وتوجهت الى حفلة العرس . وسمعت وهي في الطريق أعذب الألحان . ولما دخلت ، دهش الجميع لحسنها ولم تعرفها اختها ولا زوجة أبيها . وتحول الناس بأنظارهم الى ست الحسن وتركوا العروس . وبعد ان انتهى الرقص والغناء خرجت ست الحسن مسرعة الى بيت أبيها كي تصل قبل الزوجة والاختين . وصعدت قنطرة على الجدول وهي تركض فسقط القبقاب من احدى رجليها وغاص في الماء .

ومر ابن السلطان ذات يوم على حصان . وكان الحصان عطشان فنزل الى الماء ليشرب غير انه جفل وتراجع . واعاده مرة اخرى الى الماء . ولكنه جفل مرة اخرى . فنظر ابن السلطان الى قاع النهر فرأى شيئاً يلمع . نزل اليه واستخرجه من الماء فاذا به قبقاباً جميلاً من الذهب لم ير مثله . وقال في نفسه سيتزوج الفتاة التي يلائم قدميها حجم القبقاب . وذهب الى قصره وامر رجاله ان يفتشوا عن صاحبة القدم

الملائم . وطافوا بالقبقـاب من بيت الى بيت دون جـدوى فلم يلائم قدما من اقدام النسـاء فهـو اما صـغير او كبير . ولم يبق في المدينة الا بيت ست الحسن . وجربته الاختان! ولما اصـابهن الفشـل لم تسـمحا لسـت الحسن ان تجربه . غير ان رجال الامير طلبوا ان تلبسه ، فلاءم قدمها .

وفرحوا . وقالت لهم : وعندي الفردة الاخرى من القبقاب .

واتفق ابن السلطان على يوم تزف فيه ست الحسن عروساً له . وجاء اليوم فاخفت الزوجة ست الحسن في التنور وغطته عليهـا . وزينت ابنتها العوراء وعطرتها والبستها القبقـاب وهيأتهـا للزفاف . وعند المسـاء جـاء اهل الامير يزفون العـروس . وفيما يتهيأون للخـروج بالعــروس المزيفة ، صاح الديك - عيعي ...عيعو ... ست الحسن بالتنور وام عين عورة برة . وصاح مرة اخرى وثالثة فانتبه الناس واخرجوا ست الحسن من التنور والبسوها ثيابهـا الجميلة وقبقـابها الذهب وذهبت عروسـاً لابن السلطان .

بنت الشحاذ

كان في قديم الزمان سلطان وله ولد واحد . خرج الابن ذات يوم يسير في شوارع المدينة وازقتها . ومر بكوخ يسكنه شحاذ وزوجته وابنته . وسمع الشحاذ يكلم زوجه :- انا لا ازوج ابنتي لرجل لا صنعة له حتى اذا كان ابن السلطان .

وجاء في اليوم الثاني وسمع القول نفسه وقال في نفسه : لأخطب بنت الشحاذ وارى كيف لا يزوجها ابوها لابن السلطان؟

واخبر الامير اباه وعارض الاب غير ان الامير اصر على طلب يد بنت الشحاذ . ولما ذهب الرسل الى ابيها الشحاذ قال لهم :

- ولكن ماصنعته ؟

قيل له - انه امير . الا يكفي هذا ؟

اجاب - اقول ماذا يشتغل ؟ هل يعرف صنعة يؤديها بيديه ؟ ان الامارة ليست عملا .

ولما عادوا الى السلطان قرر الامير ان يشتغل شحاذاً . وراح يستجدي من البيوت اربعين يوماً . ومر على بيت الشحاذ واستجدى منه . وفرحوا لانه فاقهم في هذا .

وانقضت المدة وذهب الرسل مرة اخرى الى الشحاذ . ولكنه رفض ايضاً وقال :

- ليست الكدية عملاً . هل تعلم الامير صنعة غير هذه ؟

فقرر ابن السلطان ان يتعلم حياكة السجاد . واتقنها اتقاناً رائعاً . بل صار يبتكر ويتفنن في صنعته . وعلم الشحاذ والد الفتاة

فوافق آنذاك وتزوج الامير ابنة الشحاذ ومرت الايام وتلتها السنين فمات السلطان . وخلف الامير اباه وصار سلطاناً .

وكانت العادة في قديم الزمان ان يتنكر السلطان العادل ويستطلع امر الناس بنفسه ويغيث المظلومين ويعاقب المسيئين . وبينما كان سائراً في احد الاسواق قرر ان يدخل مطعماً رآه ليعلم مدى صدق اصحابه واخلاصهم لعملهم . ولم يكد يبلغ المكان الذي اراد الجلوس حتى انشقت ارض المطعم وابتلعته . فوجد نفسه في سرداب وفيه رجال ضخام اصحاء . ثم جاء رجل من باب خفي وانتق احدهم . كان اضخمهم ، واثقلهم لحماً . وسأل السلطان اصحابه في السرداب :

- اين سيذهب به

- سيذبحونه . يأتي الينا هذا الرجل كل يوم فيختار السمين فيذبحونه ويقدمونه طعاماً في الحانوت الذي رأيت .

وجاء دور السلطان الجديد . وقال للرجل الذي اختاره :

- كم تربحون من ورائي ان ذبحتموني ؟

- مئة ليرة

فقال السلطان :

- اذا تركتني فاني استطيع ان اصنع شيئاً فتربح الف ليرة كل اسبوع

فوافق الرجل وطلب الاول ان تحضر اليه خيوط والات لينسج سجادة صغيرة أبدع في صنعها وزخرفتها ورسم فيها زهوراً يظن الرائي اليها انها حقيقية . وكتب فيها رسالة خطية بالرموز . وجاء الرجل وقال له السلطان :

- اذهب بها الى زوجة السلطان ولا تعطها الى غيرها فلن يقرر قيمتها احد سواها .

وذهبوا بها الى زوجة السلطان وسلموها بيدها . وقرأت الرسالة فعرفت المكان . والقت القبض على اصحاب المطعم . وانقذت زوجها والرجال الاخرين وقالت لزوجها السلطان :

- هل رأت فائدة الصنعة ؟ اذن كان ابي الشحاذ على حق . «انقذتني الصنعة من موت اكيد وانقذت غيري ايضا .

الفأس الذهبية

خرج الشواك حسن يوماً من كوخه وحمل معه قطعة من الحبل وفأساً قديمة من الحديد . وتوجه الى البرية يقطع الاشواك .

كان النهار حاراً والطريق طويلاً ولكن حسن ظل يسير ويسير حتى وصل قنطرة على نهر . وقال في نفسه : لم لا استريح قليلا في ظل الشجرة على الجانب الاخر ؟

وبينما هو يعبر القنطرة تذكر انه لم يتناول فطوره فمد يده في عبه يريد ان يخرج صرة فيها قليل من التمر ورغيف خبز من شعير صار يابساً لحرارة الجو . واشتاقت نفسه الى شرب ماء النهر الصافي بكفيه . واذا ارتوى سيبلل الرغيف اليابس ويجلس في الظل ليأكل . غير ان حزامه تحرك لما مد يده في عبه وافلتت فأسه وسقطت في ماء النهر . فحزن حزناً شديداً وصار يبكي ويبكي حتى خرج له من النهر رجل وسأله :

- لماذا تبكي ؟

فاجابه الشواك والعبرة تخنقه :

- وقعت فأسي في النهر ولن استطيع ان اقطع الاشواك . لي اطفال وزوجة وأم وأب ينتظرون ان ابيع باقة الشوك لاشتري لهم طعاماً وخبزاً فماذا افعل الآن ؟

فابتسم له رجل النهر وقال له :

- لاتحزن ياصاحبي . سوف اجلب لك الفأس !

وغاص الرجل في ماء النهر وفي مثل لمح البصر اخرج له فأساً

لماعة من الفضة وسأله :

- اهذه فأسك ؟

اجابه حسن الشواك :

- كلا يا اخي هذه ليست فأسي . ان فأسي من حديد

فغاص الرجل مرة اخرى واخرج فأساً كأنها الشمس كانت فأساً من ذهب وهاج . وسأله :

- هل هذه فأسك؟

- لا ليست هذه فأسي ان فأسي من حديد

وغاب الرجل ثالثة في الماء واخرج فأساً من حديد وقال له :

- هل هذه فأسك ؟

- نعم هذه فأسي . فأسي التي وقعت مني .

وفرح بها فرحاً عظيماً وتناولها منه وشكره على صنيعه وسلم عليه مستأذناً بالذهاب . ولكن رجل النهر قال له :

- إنك رجل صادق وشريف . خذ الفأسين الفضة والذهب وبعهما وتصرف بالثمن .

ولما عاد حسن الشواك الى اهله بعد ان باع شوكه والفأسين قص على اهله قصة الرجل والفأس الذهب . وسمع جار له اعتاد البطالة والجلوس في البيت . فكانت زوجته واطفاله يذهبون ليكسبوا له العيش . فقرر الجار ان يذهب الى رجل النهر . فسأل الجار الشواك :

- أين مكان الرجل ؟

- عند القنطرة البيضاء . قرب شجرة التوت .

فذهب الجار والق فأسه في النهر وراح يبكي بكاءً عالياً فخرج اليه الرجل من الماء وسأله :

- ماذا جرى لك ايها الرجل ؟
- سقطت فأسي هنا . ماذا سأفعل ؟
قال الرجل - لاتبك يارجل . سوف آتيك بها في الحال .
وغطس في الماء واخرج له بعد لحظة فأساً من الذهب وسأله :
- هل هذه فأسك ؟
فاختطفها الجار منه وقال :
- نعم فأسي .
ورجع فرحاً يركض ووصل اهله وقال لهم :
- خدعت رجل الماء واخذت منه الفأس الذهب .
ومد يده الى عبه واخرجها قائلاً :
- هذه هي .
فضحكوا منه اذا رأوا فأساً من حديد وليس من الذهب وقالوا :
- هذا جزاء الكاذب الطماع . هذا جزاء من لايعمل .

المزمار

خرج الاسكندر ذو القرنين من عاصمة ملكه وفي نيته ان يفتح العالم الدنيا بأسرها ويضع البلاد تحت قدميه فتخضع له وتتقدم اليه من خيراتها كل ماتشتهي نفسه ويشتاق اليه جنوده : عسل ولبن وفاكهة من كل لون . فراح يكتسح وظل يسحق بجنوده المدن ويسبي النساء ويهدم البيوت حتى وصل الى البلد الذي دعاه بارض الرافدين . ولاقى من اهلها من المقاومة الشديدة ماجعله يتفنن بابتكار الاساليب لقهرهم لتعذيبهم واذلالهم . فاستطاع تعذيبهم ولكن فاته اذلالهم . ومنع كل رأي وحرّم كل انتقاد : فمن المنافذ الصغيرة تدخل الرياح وتزعزع اركان سلطانه . وظن ان الامن قد استتب ودانت له الناس واستقرت الامور .

وكان يرسل بين آونة واخرى في طلب احد الحلاقين من المدينة الى قصره المنيف ليزين شعر رأسه ويحلق وجهه . وعندما ينتهي الحلاق من عمله يأمر الاسكندر بقطع رأسه . وظل يفعل الفعل نفسه مع كل حلاق حتى جاء يوم فأرسل في طلب حلاق ذكي ففكر في الامر وقال في نفسه : لابد في الامر ما يخشى الاسكندر افتضاحه فخاطبه قائلا :

- ايها الاسكندر ابقِ على حياتي ولن ابوح بشيء مما أرى أو أسمع لأي انسان .

فوافق الاسكندر وابقاه حياً فاستطاع الحلاق ان ينقذ حياة الحلاقين الاخرين ليتفرغوا لابناء المدينة . وكان الحلاق الذكي كلما زار الاسكندر وخرج ينتفخ بطنه قليلا . فقد كان في قديم الزمان مرض

يصيب الناس بانتفاخ بطونهم ان هم حملوا الحزن والاسى بسبب سر لا يبوحون به وقاوم الحلاق نفسه المحبة للثرثرة غير ان بطنه وصل حداً من الانتفاخ لم يستطع تحمل السر . وتذكر العهد الذي قطعه على نفسه . فخرج من المدينة وسار حتى وصل بئراً يستقي منها المسافرون وقوافل التجار . ووقف على السور المهدم فيها ومد رأسه الى الاسفل وصاح بأعلى صوته ومن اعماق بطنه راغباً ان يلفظ كل همه وسره :

- للاسكندر قرنان على رأسه ...

فخف الالم وقل انتفاخ بطنه . وكرر النداء عدة مرات الى ان عاد بطنه الى وضعه الطبيعي الاول . فارتاحت نفسه لانه افضى بالسر الذي ملأ بطنه ألماً . كان الحلاق قد رأى قرنين صغيرين على رأس الاسكندر الذي كان يخشى ان يعلم الناس ، فيأمر بقتل الحلاقين لئلا يفشوا السر فتسقط هيبته من الاعلى حتى يكون كالثور البليد .

وراحت الايام وكرت الشهور على صيحة الحلاق في البئر . واستقى التجار والمسافرون من مائها ورحلوا . ثم جاء راعٍ شاب واستقى الماء لنفسه ولحيواناته وجلس في ظل شجرة . وقص قصبة من القصب الذي نما على حافة البئر وصنع منها مزماراً مزدوجاً . ونفخ فيه ليسلي نفسه . غير انه لم يسمع انغاماً موسيقية بل كلاماً ملحناً :

- للاسكندر قرنان على رأسه .. قرنان على رأسه

وشك في الصوت واعاد النفخ وتلفت حوله وتأكد ان اللحن خارج من مزماره . وطرب الراعي كثيراً . واخبر اصدقاءه الرعاة وعلمهم كيف يصنعون المزمار المزدوج قصبتان غليظتان تشدان جنباً الى جنب وتثقبان ثقوباً متساوية ويوضع في طرفيها قصبتان صغيرتان فيهما لسان .

وعاد الرعاة عند المســاء وصــوت مزاميرهم يســبقهم الى المدينة التي خرجت لاستقبال البشير . ورقصوا على الانغام وهتفوا مع اللحن :

- للاسكندر قرنان . قرنان على رأسه .

فسـقطت هيبة الطاغية ولم يعـد يجـدي ظلمه واحتياطـــه وقتله للناس . وحجبه للحقيقة فقد انتقل السر الى القصب ايضا .

العروس وفرعون

طلع الصباح ورأت العـروس زوجهـا مهموماً عابسـاً . كان لا يريد ان يفارقها لحظة واحـدة فكيف به اذا فارقهـا شـهراً ؟ او لعله لن يعود . كان فرعون يبني قصراً له وقد تسقط عليه صخرة .

قالت العـروس لزوجهـا : اذا كان لابد ان يذهب واحـد من اهل بيتنا فأمك عجـوز . وابقَ انت في البيت لعلي ادبر امراً واجعلك لاترى هذا العمل .

وتنكرت بملابس رجال .. وذهبت للعمل . وكانت يقـظة منتبهـة تلتقط كل حقد شارد وكلمة تذمر . فاتفقت مع كل رجـل حـاقد متذمر على توحيد الحقـد وصبه على رأس فرعون للخـلاص منه . اتفقـوا ان ينهوا الامر في يوم مجـيء فرعون مع موكبه للتفتيش . فاذا سمعـوا اتفقـوا عليها ايضا فستكون ايذانا لهم ببدء الخلاص .

وعلمت بموعد زيارة فرعون . فخرجت ذلك اليوم بزينة العـرس كاول ليلة فاتنة تقطر حسناً وعطراً وينتشر الاريج منها . اخذت المسحاة ووصلت الى حيث الآلاف المؤلفة من العمال المسخرين المنهمكين في الحفر ونقل التراب . كانوا يقيمون سداً ترابياً لايصال احجار الرخام الضخمة الى قمة البناء . يجرها بحبال والسياط تضرب جلودهم اليابسـة فلا يجفلون ولا يسرعون . فهذه اقصى طاقتهم .

فالقت وشاحها الازرق الشـفاف على الارض ورمت ضـفيرتيها

منسرحتين على ظهرها . ونفضت رأسها بشمم . وراحت تعمل مع الرجال غير ملقية بالا لأحد كأنها واحد منهم . وصار العمال يتهامسون : عروس تعمل معنا! عروس تحفر الارض! ياللظلم!

ولم يجرأ احد ان يسألها ليعرف سرها . سال العرق على وجهها وتضرج خداها حمرة حسن وغضب دفين على فرعون الذي لم يكتف بفرض الضرائب ويسخر الاقوياء والضعفاء للقيام باعمال لاتنفع سواه بل تمادى وبلغ به الامر انه لم يعد يراعي مشاعر الناس في اعز الحقوق كما حرمها من البقاء مع زوجها الحبيب .

كانت تحفر التراب وتحثوه وتدفعه امامها في كومة فيأتي الرجال يتدافعون على غير عادتهم لنقله امامها . رفعت رأسها فرأت موكب فرعون يقترب منها فرمت مسحاتها . ووضعت الوشاح على رأسها وجلست على الارض كأنها خجلى . ومر الموكب بها . وسمعت احدهم يقول لفرعون : لن يتم العمل مالم يضاعف عدد العمال والا امتد بنا سنوات اخرى .

ابتعدوا عنها . ولكن فرعون راح يفكر ، فقد جلبت انتباهه هذه العروس التي القت الوشاح عن رأسها مرة اخرى وتناولت المسحاة وعادت الى العمل بين الرجال الذين زاد وقع السياط على ظهورهم لما حضر فرعون . وقال فرعون في نفسه اريد ان اعرف هل الذي حدث كان من محض الصدف

وعاد وصار قريباً منها فاختطفت وشاحها ووضعته على رأسها وجلست على الارض كما فعلت اول مرة . فتقدم منها فرعون والعيون تحيط بها . لقد بيتت له امراً وهو لايعلم .

سألها فرعون : لمَ اتيت الى هنا يافتاة ؟

فوقفت وردت عليه بصوت عال : اتيت الى هنا لان حبيبي الذي

تزوجني مريض اليوم وامه عجوز وليس في بيتنا من الرجال غيره . واذا تاخر فانت حتماً قاتله . والتفتت الى العمال وسألتهم : هل يستطيع احدكم ترك العمل وينجو من الموت ؟

وعلت همهمة . وكلم بعضهم بعضاً ولكن بصوت غير مسموع . واراد فرعون ان يقطع احتمال سماع الجواب منهم فسألها : - حسنا ولماذا جئت بملابس العرس ؟ ولماذا تتسترين مني عند اقترابي وتنكشفين عند ابتعادي ؟ لماذا تستحين مني ولا تستحين من هؤلاء ؟ هل انا الرجل الوحيد ؟ اليس هؤلاء رجالاً ؟

فسمع العمال الفتاة تضحك ضحكة مجلجلة . فنسي الجلادون اصحاب السياط ان يضربوا العمال الحاملين التراب في قفف على رؤوسهم ونظر الجميع اليها مذهولين : فتاة تضحك امام فرعون ضحكة سافرة ! ماذا بقي له اذن ؟ كانت عيونهم مركزة على شفتيها اللتين انفرجتا وخرج الصوت المحرض :-

- انظر اليهم

ونظرت هي ايضاً نظرة يعرفها المظلومون . وحدثتهم قائلة : هل انتم رجال ؟

فأثارت بذلك ثائرتهم . وواصلت قولها :

- نعم كلكم رجال . ومن اشجع الرجال ؟

والتفتت الى فرعون :

- لولاهم لما استطعت عمل شيء انهم سينفضون اعباءهم الثقيلة من على رؤوسهم .

فتنبه الجميع : انها كلمة السر التي اتفقوا عليها . ووجدوا في قولها انطلاقاً للخلاص من فرعون الذي ذهل امام هذه الجرأة بل رأوا الذعر والجبن على وجهه .

وزحفت الجموع نحو فرعون والقوا التراب عليه وعلى جماعته يدفنونهم بكل غضب الماضي وعذابه الطويل والجوع والموت وبكل أمل المستقبل المشرق وجمال الحياة الذي استيقظ ... ؟

ولايـــة بطـــيخ

يحكى انه كان في مدينة كبيرة سلطان احبه الناس لتواضعه وعطفه وحبه للرعيه فأغدق عليه البسطاء من فيض قلوبهم ما استحقه . وسارت الامور وتبدلت الاحوال ووجد الناس ان الامر قد ساء وان السلطان قد انقطع عنهم واضطربت الامور رغم الظلم وسادت الفوضى وتفشى الجوع وقل العمل ، غير انهم لم يكونوا ليعرفوا السبب بل يردون تقلب الاحوال وتدهور الامور الى أتفه الاسباب وأشدها سذاجة . فتقول الام لأطفالها عندما يتشاجرون : لا تتشاجروا «النكرة تأثر الفكر» .

وفي بيت اثر الفقر فيه فمات اغلب اهله ولم يبق فيه الا ام وطفلها واسمه حسن . فكبر الصبي وتعرف الى اصدقاء . وجاء امه ذات يوم على غير عادته يأمرها ويريد ضربها ويشدد في طلبه ويصر وامه تشد شعرها ويحاول شق جيبها ، والشاب «لا ينزل عن بغلته كما يقولون» فإما ان تعطيه ليرة ذهبا والا فانه يفعل كذا ويعمل كيت والام حائرة تفرك يديها وتدور في البيت ولا تستطيع دفع ابنها فقد اصبح شاباً ، وقال لها : انا اعلم ان البيت خالٍ ولكن اذهبي الى اخوتك واقربائك في بيوتهم واجمعي لي ليرة ذهباً : وذهبت الام كسيرة القلب يغلبها الحياء ويدفعها تكرار الشجار فاستطاعت بعد لأي ان تجمع ليرة وأتت اليه تقول : هاك الليرة قل لي ماذا تريد ان تفعل بها ؟ فأجابها : قال لي محمود بن حميدة الذي دخل العسكر حديثاً انني استطيع ان اذهب الى خارج اسوار

المدينة واشتري سبع بطيخات بليرة واحدة . ابيع كل واحدة في المدينة بليرة فاربح ست ليرات وسأبني لك قصراً وافتح لي دكاناً وابدل من حزنك بهجة و .... فقاطعته امه فرحة .

- ومن أين لك بحمار تنقل عليه البطيخ ؟

فرد عليها - هذا امر سهل في ازقة المدينة حمير كثيرة تركها اهلها من جوع وقحط العلف .

فركب اليتيم حسن حماره وخرج الى ما وراء اسوار المدينة حيث الحقول تمتد الى ان تلتقي بالسماء واعطى ليرة صغيرة تضيع في اليد واستبدل بها سبع بطيخات كبيرات ملأت العدل فناء بها الحمار وهو يشق طريقه نحو اسوار المدينة متوجهاً الى الباب الكبير .

ولما وصل اليه لم يسمح له الحارس على الباب بالدخول الا بعد ان يقدم بطيخة الى كبير الحرس جزاء حمايته المدينة من الغارات والغزو فاعطاه واحدة وقال في نفسه ان اربح خمس ليرات ليس هذا بالشيء القليل وسار مسرعاً ليدخل باباً ثانياً في سور جديد وراح يتحسس الخمس الباقيات وطفق البناء الشامخ للقصر الذي سيشيده لأمه يقل شموخاً وكان كلما اوغل نحو قلب المدينة يستقبله آخر لا يدري كيف يعرفه ؟ أمن حماره ام من رائحة البطيخ ام ماذا ؟ لم يكن ينتبه احد الى وجوده قبل هذا اما الآن فهذه البطيخة يريدها أمين العدل الذي لولاه لضاع الملك وفسد الامر ولأكلت الفقراء الاغنياء كما يقول الامين على العدل . وتلك الى صاحب الشرطة يحمي حمى الامن ويمنع السرقات والتجاوزات افلا يستحق بطيخة واحدة ... واحدة فقط جزاء جهوده وسهره الليالي وهذه الى امين بيت المال فمن اين للدولة ان تصرف على شؤون موظفيها ووزرائها وقصورها ؟ وجاء سادس باسم رئيس الديوان وكاد حسن ان يرفع يده غير ان رهطاً من الحثالة احاط به فرفع البطيخة من

العدل واعطاها له وبقيت الاخيرة فقال في نفسه : لئلا افقد الامل سأبيعها واعود مرة اخرى فلعلهم يشبعون في المرة التالية ويتركونني. واذا هو وافكاره في انسجام وصل الحمار الى وسط المدينة وضاع اليتيم في زحمة الناس او ظن نفسه كذلك، جاءه رجل وقال له :

هات البطيخة !

وامتقع حسن : اريد بيعها اريد ان استرد ليرتي هي حقي وحق والدتي ..

فيأمره الرجل اقول لك هات البطيخة هل تمتنع ان تعطي بطيخة تافهة الى السلطان .. نعم الى السلطان ؟ فقد جاءه ضيف اشار الاطباء عليه الا يأكل الا البطيخ

فأجاب اليتيم : وانا ؟ ماذا اعمل ؟ ووالدتي ماذا اقول لها ؟

- اقول لك انتهى الامر انها بطيخة السلطان .

وعاد حسن الى امه ولم يخبرها بشيء بل ذهب بعد ذلك الى محمود بن حميدة واخبره بقصته فقال له : «اذهب واشتك على الحارس لدى كبيرهم» ويذهب ويحمل بين جنبيه آمالاً فسوف يستقبله كبيرهم ويستمع له ويفرح ويرد العدوان غير انه وجده محاطاً بعشرة اسوار من رهط يحيل الواصلين من ايصال مطالبهم . ولكن اصراره والحاحه ومكوثه لدى الباب اربعة ايام ولما لم ير جماعة الملك منه شيئاً ادخلوه على الكبير بعد ان عرفوا مظلمته ليست عن جاسوس اجنبي او تعاون خائن معه ولا طلباً للالتحاق بالحرس بل .. بطيخة ! فدخل حسن وضحك منه الكبير واراد تفكهة ان يرسله بوصية الى كبير الشرطة ما دامت قضيته ليست اغتصاب بستان او امرأة فقال له : إن امرك يخص كبير الشرطة فهو متعلق بالامن العام فاذهب اليه يحل لك امرك ولكنه بالرغم من التوصية وجد كبير الشرطة محاطا بالف طوق وطوق وانتظر ستة ايام وفي اليوم السابع ضاق به الحاجب فاختطف منه الكتاب ولما وجده عن بطيخة ضحك هو

ايضا وادخله على صاحبهم فضحك عليه واضحك الحاضرين وقال له : ان امرك لدى امين العدل فاوصى به ولم يبخل على صاحبه بآخر نكتة ولكن النكتة رغم هذا كانت تصدها الجدران ولكن صداً شديداً .

واستطاع بعد جهود ان يرسل من شخص الى آخر حتى وصل الامر به الى رئيس الديوان وقال : الامر خطير ويتعلق بمائدة السلطان فاذهب اليه ،

فراح اليتيم الى بابه وبقي يراقب عن بعد يطرده هذا ويبعده ذاك واذا جاء موكب السلطان فانه لا يستطيع الا ان يراه فقط واما ان يكلمه فهذا بعيد لان السلطان محفوظ في الف صندوق .

يأس حسن وعرف الامر وعاد الى امه كما عاد في المرة الاولى ولم يقل شيئاً بل تناول هراوة وقد بيت أمراً .

ذهب الى طرف من اطراف المدينة حيث تقل السابلة ووقف ينتظر ثم اقترب منه رجل وتردد حسن بادىء ذي بدء ولكنه اقدم فيدل مظهر الرجل على انه لا يستطيع درء شيء عن نفسه فرفع هراوته وأهوى بها على ظهره وقال له : هات ازبعة فلوس ، لأنك تسير هنا ولكن الرجل لم يعترض ولم يمانع بل اخرج له ما اراد ودفعها له ، فدهش حسن وكرر هذا مع آخرين. فتكررت النتيجة ولم يعترض احد فصار كل يوم يتوغل نحو قلب المدينة حتى وصل ذات يوم الى ساحة كبيرة ضارباً هذا بهراوته وقائلاً له هات عشرين فلساً لأن شعرك طويل . وذاك لأن تضحك، وغيره لم تمش مع هذا ؟ فأحس به جماعة من رهط الملك فاحاطوا به وعاونوه وتقسموا على المدينة كلها واصبح له منهم اصحاب اوفياء وصار رئيساً للجميع يوجههم حيث يشاء ويستشيرونه ويتقاسمون الرزق ويقاسمه جماعة الملك وعرف من بينهم من تفنن في استنزاف المال ولكن حسن لم

يكن يقصد هذا كان يريد ان يعتمد على الناس ليعرفوا حقيقة الحكم فاما ان يثوروا او ان يتذمروا ويحتموا فلعل الخبر يصل الى السلطان فيأمر باستدعائه لأنه رئيسهم وكلما اوغلوا في تعذيب الناس لهذه الغاية كان الناس يدفعون له صابرين غير معترضين يقولون لهم : لم ثوبك وسخ ادفع وانتِ لم ثوبك وسخ ؟. ادفعي. لم انت حاف ؟ لم ثوبك جديد ؟

غير ان الذي يريده لم يكن في احسن الاحوال اكثر من تجمع جمهور من خمسين نفراً قد يصل المائة ولكن ما ان يصل واحد من اصحاب الهراوات حتى يتفرقون الى شتى .

وراح يفكر : إن الايام قد مرت ولحقتها الشهور وتوالت السنين والامر لم يتبدل ولم يتطور إلا قليلا يريد ان يدفعه اسرع،فجاء اصحابه صباحاً يقول لهم : اضيفوا الى ذلك كل ميت عشر ليرات وكل مشيع ليرة ومرت الايام وراحوا يأخذون عن كل دمعة ليرة وامتنع الناس عن الدفن إلا الاغنياء وامتنع الناس عن التشييع وطلبوا من كل من ينوح ليرة فانحبست العبرات في الصدور وراحت تشتم السلطان آناء الليل همساً ولا يجرؤ الكثيرون ان يجهروا .

وتأتي المطالعات الى السلطان : ان الرعية تدعو له طول العمر ورفاه العيش وزادت الصناديق التي تحيطه وكان كلما اوغل حسن اليتيم تفنننا في إثارة الناس ودفعهم الى ابداء شعور جماهيري ازداد رهط الكبار في عزل السلطان عن الناس .. واذا خرج انبثوا على طول دربه يبعدون الناس ويتظاهرون هم انفسهم كأنهم ابناء الشعب يدورون حوله ويسبقونه بالدعاء والتمجيد فحسب السلطان انه ما زال على حب الرعية وصلته بها وان كليهما يعمل لخير الآخر واذا اتفق للسلطان ان تنكر وخرج يطوف الليل ويسمع نواحاً على ميت في هجعة الليل فيقول له ومن معه : ان البكاء هذا من شدة ما ضحك الناس في نهارهم فامتلأت صدورهم

وانطلقت نواحاً وصدق من قال ان بعد الضحك بكاء .

وماتت ابنة السلطان .

هي وحيدته فحزن عليها كثيراً بكى طويلاً فتمرض ولم يستطع تشييعها فسار موكب جنازتها الى مقبرة وتجمع القوم قوم حسن وطلبوا الف ليرة ولكن الا تدفن ابنة السلطان ولا يغسل جثمانها وتعرض للطيور حتى تأكل جثتها واصروا وأصر رهط الكبار وأنشقوا وكان قوم حسن اصلب واكثر انضم اليهم كل الناس من المظلومين حقداً على السلطان ولن يتفرقوا حتى يأتي السلطان نفسه ليبت في الامر بنفسه ويحل المشكل فالف ليرة شيء بسيط قدمه الرهط ولكن كيف تبقى ابنة السلطان في العراء تأكلها الطير واصروا حتى وصل الخبر بعد يأس الى السلطان فخف رغم مرضه فقال له حسن : لا ابين شيئاً الا بيني وبينك فسأله السلطان : ما سرك وما امرك ؟ فاجاب حسن : ولاية بطيخ !

وكانت السخرية والهزء بادية في قوله .

فقال السلطان : ولاية بطيخ ! ما معنى ذلك ؟

وقص عليه حسن قصة البطيخ وكيف اراد الوصول اليه فلم يستطع فقام بكل ما قام به ليثير الناس ويصل خبره اليه فيعلمه بفساد حاشيته وخطأ سيرته فقتل السلطان وزراءه ورهطهم وجاء حسن وجماعته من محبي الناس الكثيرين الى الوزارة .

البنّاء والنقاش

بنى احد الملوك قصراً . وأوشك البناء على نهايته فارسل الملك في طلب امهر المزخرفين . فجاء النقاش ليضفي على القصر رونقاً جديداً بنقوشه وزخارفه في الخارج والداخل . وكان لابد ان يتعاون النقاش والبناء ويتشاوران . وكان النقاش في حاجة الى معونة البناء ليعدل ويهذب النواقص والزيادات في البناء كي تنسجم الزخارف . بيد ان البناء لم يتفق مع النقاش فرفض كل طلب له لأن النقاش كان يخبر الملك بكل النواقص التي يمر عليها . فاغتاظ النقاش لذلك وفكر في التخلص من البناء فترك العمل عدة ايام ليجلب انتباه الملك وجاء اليه بعد ذلك وقال له : ايها الملك لقد ذهبت اتنزه في البحر فدعاني صديق ملك البحار الى بلاطه وعرف مني انك قد بنيت قصراً منيفاً غاية في الروعة والابداع فود اخوك ملك البحار ان ترسل اليه البناء ليشيد له قصراً مثل قصرك وارسل معي هذه المسبحة علامة كي تصدق قولي قال اخوك ملك البحار انك كنت تتنزه ذات يوم في البحر فسقطت هذه المسبحة منك وانت في الزورق فالتقطها جنوده واتوا بها اليه وها أنه قد اعادها اليك ..

فقال الملك : صدقت لقد سقطت مني هذه المسبحة ذات يوم في البحر واني سألبي طلب أخي ملك البحار .

فأمر الملك ان يلق البناء في البحر فأخذه الوزير واتجه به الى البحر ولكنه لم يرمه فيه بل رمى كيساً من الاحجار بدله لأنه صديق حميم له . فابقاه في داره وقص البناء القصة على الوزير .

وخرج البناء بعد فترة مناسبة تكفي لبناء قصر وجاء الى الملك وقال له : ايها الملك ! ان اخاك ملك البحار يشكرك ويزجي اليك بأعطر التحيات وقد تم البناء ويرجوك ان ترسل اليه النقاش ليزخرف قصره .

فقال الملك : حسنا من اسدى حسنة يسهل عليه ان يردفها بأخرى .

وامر بالقاء النقاش في البحر ليزخرف القصر .

إبليس والفلاح

اتفق فلاح مع ابليس ان يزرعا قطعة ارض صغيرة في الشتاء فقر رأيهما ان يزرعا اللفت (الشلغم) فحرثا الارض وبذرا البذور وسقياها وانتظرا حتى خرجت الاوراق الخضر ونضج اللفت وجلسا لاقتسام الحاصل فقال الفلاح لأبليس لك الاوراق الخضر الكبيرة ولي الجذور التي في الارض فوافق ابليس لأنه لم يكن يحب العمل وترك الراحة فحفر الفلاح الارض واستخرج ما تحت الارض وجمعا الحاصل واقتسما حصتيهما وفطن ابليس انه غلب على امره وان الانسان قد خدعه واستحوذ على الحاصل النافع فقرر الا يتركه وان ينتقم منه في الفصل القادم فلما حل الربيع اتفقا ان يزرعا شعيراً وحرثا الارض وبذرا البذور وسقياها وانتظرا حتى خرجت النباتات الخضر فباغت ابليس الفلاح قائلا : كانت حصتك تلك المرة مما هو تحت الارض وحصتي مما هو فوق الارض فخذ هذه المرة ما هو فوق الارض واترك لي ما هو تحت الارض .

ولما نضجت السنابل وصارت صفراء حصدا زرعهما واقتسما الحاصل فصار للرجل السنابل ولأبليس الجذور ٠

مؤتمر الاشجار

شكت الاشجار الصغيرة يوماً جور الانسان وظلمه واحتارت في امرها فما فتىء يقطعها ويميتها فقالت شجرة صغيرة ذكية : لِمَ يا أخواتي الصغيرات لا نذهب الى اخواتنا الشجرات الكبيرات ونسألهن الرأي والمشورة فما خاب من استشار ؟ فقالت الاشجار الصغيرة :

- وقفنا على الرأي الصواب ولنذهب الى الشجرات الكبيرات ونرى في الامر .

وتوجهن ذات صباح باكر نحو غابة الاشجار الكبيرة ورحبن بهن وبعد ان ارتاحت الاشجار الصغيرة من عناء المسير قالت الاشجار الصغيرة تخاطب اخواتها الكبيرة :

- جئنا نسألكن كيف امكن لكن ان تتخلصن من جور الانسان وفأسه ومنشاره فلم يقطعكن فاصبحتن بهذه الضخامة

فردت الاشجار الكبيرة :

نحن نعاني الجور نفسه ولا نعلم ماذا نفعل لنتخلص منه واستمر المؤتمر اياماً فأبدت احدى الشجرات المعمرات رأياً :

- ان الانسان لا يستطيع ان ينال منا شيئاً لو لم تقع الخيانة فيما بيننا ، نحن نساعد الانسان على بني جنسنا ...

فقالت احدى الشجرات الصغيرات :

- من الخائن فينا ؟ ليس فينا خائن نحن الصغيرات

وقالت شجرة كبيرة :

- ولا نحن الكبيرات

- فقالت الشجرة المعمرة :

- الخيانة من كلا الجانبين انظرن الى المنشار او الفأس تجدن مقبضاً من الخشب فمن اين جاء به لولاالخشب لما استطاع ان يعمل فينا تقطيعاً فلنقض على الخيانة بيننا اولاً فيسهل امرنا بعد ذلك .

الأقـــــراط

اشترى علي زوجاً من الأقراط الماسية فطلب من امه ان تخـطب له الفتاة التي يضيء خـداها ويشرقان كما يشرق الماس نفسـه فصـارت الأم تطوف من بيت الى بيت تعلق الاقراط للصـبايا غير انهـا لم تجـد هذه الفتاة في المدينة كلها .

وجاءت الأم الى ابنها وقالت له : طفت جميع البيوت ولم يبق سـوى بيت بعيد عن المدينة يسكنه بعض الفقــراء فأصر علي ان تذهب امه اليهم .

دخلت امه ذلك البيت فوجدت بنتاً كالقمر تنقي الشعير من الشوائب في طبق وقد تناثر الغبار على خـديها فصـار (كالبودرة) وبالرغم من ذلك راح خـداها يشـعان كالماس بل اجمل وعرفت الام ان الفتاة هي ابنة عم علي عمه الفقير ففرحت واعطتها الاقراط نيشاناً وعادت الى ابنهـا تنبؤه بالخبر .

ومرت ايام وكان علي جـالساً في المقهـى فمر من امامه موكب «حملة» عروس وسـأل علي فقيل له انهـا حملة بنت تاجـر الى عريسـها فاغتاظ آنذاك وحزن وذهب الى امه يطلب اليها ان تستعيد الاقراط من ابنة عمه الفقير فهو ابن تاجـر ويرغب في زوجـة تسـتطيع ان تقـدم لـه «حملـة» يفخر بها . فماذا تستطيع ابنة عمه الفقيرة هذه .

وامضت ابنة العم ايامها ولياليها باكية تندب حظها العـاثر ومر بهـم

ذات يوم درويش وسألهم عن مصابهم فقصوا عليه الخبر فعرض عليهم ان يتزوج البنت فوافقوا .

اما علي فقد خطب ابنة تاجر غني قدمت له حملة فاخرة غير ان البنت لم تكن جميلة وحضرت ابنة عمه حفلة العرس فترك الحاضرون العروس وتوجهوا بانظارهم الى ابنة عم علي وعتبت الام على ابنها فطلب علي رؤيتها فلما رآها تعلق قلبه بها تعلقاً شديداً وقرر أن يتزوجها في الحال ولا يدعها تخرج من بيته ولكنها اوضحت انها متزوجة ولا يمكن ان يتم ما يريد علي ..

غير ان علياً اختطفها مدعياً انها ابنة عمه ولا يمكن لأحد ان يأخذها منه فاشتكى اهلها في الحال لدى حاكم المدينة فظهر ان الدرويش الفقير الذي تزوجها هو حاكم المدينة بيد انه جاءهم متنكراً ولم يفصح عن شخصيته الا حين جاءت قضية زوجته امامه ورد علياً بطبيعة الحال في هذه القضية وعادت الافراح عند اهل الفتاة بعد ان عرفوا الحقيقة .

(دار العجـزة)

خرج ملك يتجول في المدينة بحثاً عن كل مصـاب بعـاهة مسـتعصية تعيق صاحبها عن العمل فيرسله الى دار العجزة فقرر شاب محب للكسل ان يدخل الدار غلف رجليه بلفـائف كبيرة وتظاهر بالعجـز والقى نفسـه امام موكب الملك غير ان الملك ادرك حقيقته وقصده فقال له :

- اذا بيك خير سَوّي براسك خير ..

فأثرت الكلمة في الشاب وفكر ثم ارسـل بعض الاطفـال ليجلبوا له كثيراً من القحوف والاحجار ووضعها في صـناديق وارسـلها الى البحـر وسافر معها واتخذ له صاحباً حتى وصلا الهند فاستأجر له شـقة في خـان واسـتدان الشـاب بعضاً من الليرات من صـاحب الخـان الى ان يبيع الاموال فيرد له دينه فارسـل الشـاب صـاحبه الى احـد المطاعم واعطاه ليرة يشتري طعاماً لهما : وقال له : اذا اعطيت صاحب المطعم الليرة فلا تأخذ منه الباقي فسيسألك من صـاحبك ؟ قل له : لا تقـل لأحـد الامر سر بيني وبينك انه ابن الملك ترك بلاده وجاء الى الهند لسوء تفاهم وقع بينه وبين ابيه .

وذهب صاحبه الى المطعـم وفعـل كما امره الشـاب فذهب صـــاحب المطعم الى جاره وقال له :

- لا تقل لأحد ان الشاب الذي في الخان هو ابن الملك جاء مغتاضاً من ابيه .

وبطبيعة الحال انتشر الخبر حتى وصل الى راجا الهند فارسل معتذرا الى الشاب وبعث اليه بصوانٍ مليئة بالدرر والماس ومختلف الجواهر فكان الشـــاب يأمر الحمالين ان يتركوها في المطبخ ولا يبدي تأثراً كي يثبت انه ابن ملك حقاً .

وامعـاناً في تكريم ابن الملك زوجـه الراجـا ابنته وارســل الى الملك رسـالة يعتذر منه لأنه لم يكرم ابنه حـال حلوله في بلاده لأنه لم يعــرفه فزوجـه ابنته وهما الآن في طـريقها الى العـاصمة فسكت المـلك على مضض، وعلم الناس فخرجوا لاستقبال ابن الملك غير المعروف ولم يكن يعرفه الملك نفسه غير انه قال في نفسه : اود ان اعرف هذا الذي يدعي بأبوتي .

ووصل الركب واستقبل الشاب استقبالاً حافلاً وبعد انتهاء المراسيم انتحى الملك بالشاب جانباً وقال له ؛ الا تذكر ايها الكلب من اين اتتك ابوتي ؟

قال الشاب : الا تذكر ايها الملك يوم اردت ان ادخل دار العجزة فمنعتني وقلت لي : اذا بيك خير سوي براسـك خـير ٠٠٠! وها اني جئت اليك وكلي غنى وثراء وزوجتي ابنة راجا الهند افلا يكفي هذا ؟

زوجة الصيـــاد

كان لصياد زوجـة زوجـة رائعـة الجمال تقـول للقمر غيب وانا بمكانك ولهـا شعر كأنه اشعة الشمس بنى لهـا زوجهـا قصراً عالي الجـدران في منطقـة تشرف على النهر كي لا يراها احد .

وكانت الزوجة تصـعد السـلم وتقف على السـطح تسرح شـعرها الذهبي . واذا سقطت منه بعض الشعرات تأخذها وتلفها ثم تثقب جوزة وتضع الشعرات وتسدها بالشمع وترميها في النهر .

ويذهب زوجها الصياد للصيد ويعود عند المسـاء او قبله ويقـدم لهـا الصيد . ولكي يريها براعته كان يضع بيضـة دجـاجة على بطنهـا ويطلق اليها سهماً فيصيب البيضة ولا يخطىء الهدف ثم تشـوي له اللحـم وتطبخ انواعاً لذيذة .

صعدت الزوجة ذات يوم الى السطح وسرحت شعرها ثم رمت الجوزة الى النهر وتشاء الصـدف ان تقـع بين يدي صـياد سمك كان جـالساً على شاطىء النهر اخذها وفتح الشـمع واعجبه لون الشـعر فيهـا . فقـرر ان يحصل على صاحبة الشعر الاصفر في القصر المنعزل .

ذهب السماك الى امرأة عجوز واخبرها بمراده فقالت له ان ما طلبت لأمر سهل فاخذت العجوز معها بعض الشموع واغصان الياس وجلست على شاطىء النهر وحان موعد رجوع الصياد فرأى العجوز : لم انت هنا ايتها السيدة الطاهرة ؟ فقالت : نذرت أن اشـعل بعض الشـموع لخضر

الياس فادركني الليل وقررت ان ابات الليل على الشاطىء .

فقال لها الصياد : هذا بيتي تعالي على الرحب والسعة .

ولما طلع الصباح وخرج الصياد قالت العجوز للزوجة وقد رأت كل شيء : اراك مصفرة الوجه يا ابنتي ...

فردت الزوجة : لا ابداً ليس ثمة ما يبدل لوني .

فقالت لها العجوز : اني اعلم ان زوجك يرعبك كل يوم عندما يعود ، ويهدف على البيضة فاذا جاء اليوم قولي له اذا طلب منك وضع البيضة لاصابتها لو كنت مثل الصياد حسن ماذا تفعل ؟

وعاد الزوج وجابهته الزوجة بما علمتها العجوز فقرر الزوج ان يخرج في الحال ليبحث عن حسن ويجد انّ كان بارعاً حقاً .

وقالت العجوز للزوجة الحسناء بعد ان غادر زوجها القصر ان ابنها ظل ينتظر في الخارج منذ البارحة افلا يمكن ادخاله ؟ فوافقت الزوجة وجاء السماك الى القصر .

ووصل الصياد بعد مدة من الزمن الى حسن فوجده جالساً على سرير وقال له : إني أروم رؤية مدى براعتك يا حسن لأني سمعت زوجتي تنبز براعتي وتحمد براعتك .

فقال له حسن : لقد خدعت يا صاحبي في زوجتك كما خدعت في زوجتي .

فقال له الصياد : وكيف خدعت ؟

فرد عليه حسن : اجلس احدثك ...

تزوجت ابنة عمي وكنت احبها حباً جماً فنجلس نزجي ليالينا بأطيب الاحاديث وكانت تعطيني فنجان قهوة اذا شربته غبت عن الوعي في الحال ولا اشعر بأي شيء غير اني كنت اجد كل يوم فرساً من خيلي المطهمة ميتةً . فقلت في نفسي ان لابد في الامر سر . وجلسنا فجاءت لي

زوجتي بقدح القهوة وتظاهرت انني على وشك احتسائه فطلبت منها قدحا من الماء ولما ذهبت سكبت القهــوة في جيبي وتظاهرت بفقــدان الوعي ورحت اراقبها خفية فاخذت فرساً وركبتهــا وركبت وراءها وهي لا تعلم بي الى ان وصلت نهراً فعــبرته وعبرت بفــرسي وراءها ثم اذا بهــا تدخــل بعض الخرائب ويستقبلها شاب قبيح ويزجــرها ويعنفهــا لأنهــا تأخـــرت فتقــول له انهــا لاقت الامرين الى ان انامته وجــاءت اليه كالبرق على فرس جديد وداعبها وداعبته ثم ناما وجئت اليها وقتلت الشــاب صــاحبها ولم تطاوعني نفسي على قتلهــا وعدت الى البيت وعادت هي ايضــا بعــد ذلك فأخذت بعض الملابس وغسلتها واعطتهــا الى خــادم صــغير لينشرها على حبل فوق السـطح فدفعته الى الاسـفل فمات الصـغير في الحـــال فوجدت لنفسها عذراً للحزن وحزنت حزناً شـديداً وقلت في نفسي لعلهــا ستنسى بعد الاربعـين فمرت الايام ومرت الشـهور وبلغـت سـنة ولم تترك البكاء والنواح على صاحبها فقلت لها : سيدتي ان حـزنك وبكاءك ليسـا على الصغير بل على ذلك الذي مات مذبوحاً في الخرائب ...

فقالت : انت اذن قتلته وتناولت قدحاً من الماء ورشته علي وحولتني الى كلب وطردتني الى الشارع فتناوشتني الكلاب لأنني لست منها ورحت اجوب الشوارع والطرقات وقد غلبني الهم والغم والجوع حتى جاء المساء فنمت على عتبة بيت وفتحــت عيني على جلبة فرأيت آفة كبيرة تحمل طفلاً رضيعاً تريد قتله وقفزت عليها وجرت بيننا معركة ضارية استطعت ان اقتل فيهــا الآفة واخــذت الطفــل ووضــعته على ذراعي ونمت وعند الصـباح جــاء أناس ورأوا الطفــل حياً نائماً على ذراعي والآفة ميتة ففـرحوا كثيراً واخـذوني الى البيت ولما دخلت قالت البنت الصـغرى : كيف تدخلون علينا رجلاً ؟

فقالوا : أي رجل ؟

فقالت : هذا ليس كلباً انما هو رجل وهو حسن زوج معلمتي فلانة فقيل لها : اعطني عليه وردي له الجميل واعيديه رجلاً كما كان فقالت : انا لا اعيده الا اذا عاهد ان يتزوجني .

فأومأت برأسي موافقاً ورشت علي الماء وعدت رجلاً وأعطتني ماءً وقالت لي : رش هذا الماء على زوجتك ...

غافلها قبل ان تراك غير اني لم تطاوعني نفسي فرشت عليَّ الماء وحولتني الى طائر الكركي وطردتني ونتفت الطيور ريشي فلجأت الى اكمة وجاء حطاب واخذني الى بيته ولما دخلت قالت البنت لأبيها : انك ادخلت علينا رجلاً وأشارت اليَّ وبينت انه فلان زوج فلانة معلمتي .

وطلب اليها ابوها ان تعيدني رجلاً وطلبت هي عهداً ان اتزوجها وأومات لها بالموافقة فرشت عليَّ الماء وعدت رجلا وقالت انك تحب ابنة عمك ولا تستطيع التخلص منها ولكني سبوف ادعوها مع تلميذاتها الى بيتنا واسحر التنور فاخطف زوجتك وارمها في التنور فتتخلص منها ، وجئن ينبارين جميعاً بالطيران حول النار فخطفتهن جميعاً والقيتهن في النار وفتشت عن شيء اغطي به فوهة التنور ولم اجد فجلست على التنور واكلت النيران مؤخرتي كما تراني .

وكشف له عن عظام وقال له عد الى زوجتك وتدبر امرك ...

وعاد الصياد الى زوجته وفي طريق عودته صادفه درويش فاتخذه رفيق سفر . وناما ذات ليلة ولاحظ الصياد الدرويش وقد ظن صاحبه نائماً - فاخرج من عصاه التي فتحها فتاة جميلة كانت زوجته فداعبها وداعبته ونام الدرويش فاخرجت الزوجة من تحت شعرها علبة صغيرة فتحتها فاخرجت منها شاباً وصارت تداعبه ايضا الى ان تعبا ثم اعادته ونامت بعد ذلك على ذراع الدرويش الذي اعادها الى عصاه قبل ان يستيقظ الصياد ..

وسارا طويلا حتى وصلا بيت الصياد فدعا صاحبه الدرويش الى بيته ودخل الدرويش بعد ممانعة ووجدا العجوز لا تزال في البيت فطلب الصياد من زوجته ان تعد لهم على المائدة سبعة صحون من الحلاوة فقالت الزوجة نحن اربعة فلماذا اعد سبعة ؟ لكنه اصر ولم يوضح لها فقدمت سبعة صحون وقال لها زوجها اخرجي صاحبك ليأكل صحنه فتظاهرت بالدهشة والح عليها فاخرجته وقال لصاحبه الدرويش اخرج زوجتك كما اخرجت زوجتي صاحبها فقال : من أين اخرجها ؟

فأجاب الصياد : من عصاك فاخرجها الدرويش وخاطب زوجة الدرويش : اخرجي صاحبك فتظاهرت بالدهشة وقالت من اين اخرجه ؟ فقال لها الصياد من علبة تحت شعرك فاخرجته ثم انقض الصياد على زوجته وعشيقها والعجوز وقتلهم كما قتل الدرويش زوجته وصاحبها .

اللصـــوص الثـلاثـة

كثرت في ايام احد الشاهات السرقات وبلغ الامر باللصوص ان سرقوا دار كبير الوزراء فخشى الشاه ان تسرق خـزائنه فقـرر ان يتدبر الأمر بنفسه بعـد ان عجـز الوزراء عن ذلك فتنكر وجـاب المدينة حـتى وصـل خـارجها فرأى ضـوءًا منبعثاً من سرداب في خـرائب واقترب منه فألفى ثلاثة اشخاص يتكلمون بصـوت خـافت وارهف سمعـه فعلم انهـم لصوص اتفقوا الليلة ان يسرقوا قصر الشـاه اذ قال احـدهم : اننا نملك كل الامكانيات فلنسرق بيت الشاه ولكننا لا نعلم عن مكان كنوزه فنزل الشاه عندئذ بملابسه الممزقة وبيده المعول فسألوه من انت ؟ قال انا لص مثلكم ولدي شيء يفيدكم ولكن اخـبروني بأسراركم اولا وسـأخبركم بسري .

فقال الاول : يمكنني ان اقرأ على الحائط فأشقه ونستطيع ان ندخـل من الشق ...

فقال الآخر : واما انا فأقرأ على الحرس فأنيمهم ...

وقال الثالث : وأما انا فأقرأ على الاقفـــال فتنفتح فماذا يمكنك ان تفعل لتكون نداً ؟

فقال الشاه : اما انا فاستطيع ان ادلكم على خزائن الشاه الخفية .

فرحبوا به آنذاك وضـموه اليهـم وجـاءوا الى قصر الشـــاه فأناموا الحرس وفتحوا الجدران وكسروا الاقفال ودلهم الشـاه على الخـزائن التي

اخفاها بنفسه وفتحوا الاكيـاس وصاروا ينقلون الكنوز اليها وصاح احد اللصـوص الذي كان يتجـول في غرف القصر اتركوا كل شيء سـوف نغادر ودهش الشاه اذ رأى اللصوص يتركون كل شيء ويتهيأون للخروج فتوسل اليهم الا يتركوا الكنوز فتضيع منهم فرصة عظيمة لا تعود وسألهم عن سبب مغادرتهم فرد عليه احدهم :

- انك لا تعرف عاداتنا فلذا لا تتدخل في شؤوننا ان صـاحبنا تذوق في الظلام قليلاً من الملح موضوعاً في اناء فاذا ذاق احدنا طعـام امريء فاننا لن نخونه .

وألح عليهم الشاه فقالوا له ان كنت لا تتبع اسلوبنا فانت لا تصلح لنا وخير لك أن تتركنا .

وخرجوا دون ان يأخذوا شيئاً وذهب الشاه اليهم في اليوم الثاني غير متنكر واخبرهم بمحاولة الامس وصارحهم بأنه بحـاجة الى حـرس مخلص وفي ولا يجد سواهم فقـد جـربهم .ووافقوا وقسـموا الليل بينهـم ثلاث مراحل وفي ليلة من الليالي وقعت حـراسة الاخ الاصـغر في اول المسـاء وكان واقفاً عند رأس الشـاه لما جـاءت افعـى كبيرة وهمت بقتل الشـاه فجرد الحارس حسامه وقتلهـا وفتح الشـاه عينيه ورأى الحـارس يضـع السـيف في غمده فظن انه ينوي به شراً ولما جـاء دور الآخـر : سـأله الشاه :

- من اعز لديك في الدنيا ؟

فأجاب - نفسي ...

فقال له الشاه : اقتل اذن أخاك الأصغر .

فقـال له : لن اقتله فلو قتلت أخـي فإنك سـتندم كما ندم ملك على طائره ..

فسأله الشاه : وما حكاية الطائر ؟

فقال الحارس : ترك هذا الملك امور الناس وادارة شؤونهم ولم يكن له انيس سوى ببغاء ناطق فيجلس اليه في شرفة قصره يكلمه عن كل شيء ومر ذات يوم رف من الببغاوات على قصر الملك ورأين ذلك الطائر وتوقفن وكلمنه كلاماً لم يعرفه الملك فاستفسر من طائره فقال الطائر : لديهم عطلة امدها ثلاثة أشهر للراحة وطلبوا مني ان ارافقهم فهل توافق ايها الملك ؟

فعاهد الببغاء الملك عهوداً على العودة اقنعته فطار معهن وقضت الطيور اطيب الاوقات في اجمل البقاع ولما اوشكت المدة ان تنتهي عقد الطيور مؤتمراً وتشاورن في امر اهداء هدية للملك الذي سمح لطائره ان يصحبهن فقرّ الرأي ان يهدى ثلاث بذرات من بذور التفاح اذا زرعها وأثمرت الاشجار وتناول منها تفاحة فسيعود الملك الشيخ شاباً ويلتفت الى شعبه فتناول طير الملك البذرات الثلاث واحدة في كل رجل والثالثة في منقاره . ورحلت الطيور وحط الببغاء امام الملك الجالس في الشرفة المطلة على البستان ففرح به وقدم الطير هديته وانشد :

ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته
لكنت اهدي لك الدنيا بما فيها

ثم اعلمه بسر البذور وقال انهم لم يجدوا اثمن من هذه الهدية فأمر الملك الفلاح ان يزرعها ولما حان وقت نضوج الثمر أمر الملك ان يؤتى له بتفاحة من هذه الشجرات فأتى له الفلاح الشيخ بتفاحة كانت قد سقطت على الارض وقدمها له .

ولما علم اولاد الملك بما يعتزم ابوهم القيام به اقترحوا عليه ان يقدم التفاحة الى الغزالة ليرى مدى صحة قول الببغاء فلعله يريد قتله كي يتحرر منه ولما اكلت الغزاله التفاحة ماتت في الحال فقتل الملك طيره

وتألم لخيانته .

ومرت الأيام وكان الملك جالساً في شرفته مغموماً فرأى الاشجار تهتز بعنف لم يألفه وعجب للأمر فارسل الحارس يستطلع السر فأخبره ان في البستان شاب يتسلق الاشجار بكل سهولة وامر بجلبه فجيء بالشاب الى الملك وسأله : من انت ؟ فقال الشاب : انا البستاني الشيخ اكلت تفاحة من احدى الشجرات فصرت شاباً كما ترى ..

فسأله الملك عن التفاحة التي قدمها له ذات يوم فقال البستاني طلبت مني تفاحة من الشجرة فأتيتك بتفاحة وقعت على الارض لأني لم استطع تسلق الشجرة ، لا كما رأيت قبل قليل فعرف الملك ان التفاحة لابد مسمومة بعد سقوطها وندم على قتله الطير ندماً شديداً فقد تبين انه صادق في قوله ...

وإنك ايها الشاه ستندم ان انا قتلت اخي كما ندم الملك على طائره ...

وجاء دور الاخ الثالث في الحراسة وطلب الشاه منه ان يقتل اخاه الاصغر . فقال له لن اقتل اخي فانك ستندم كما ندم ملك على طائره ...

فسأله الشاه وما قصة الطائر ؟

قال الحارس : خرج الملك يوماً للصيد واشتط به الحصان بعيداً عن صحبه فعطش الملك عطشاً شديداً ورأى على بعد ماءً يتساقط من اعلى الجبل فتقدم الملك اليه ووضع تحت الماء المتساقط اناء يجمع الماء فيه غير ان الصقر الذي معه كان ينقض على الاناء ويخفق بجناحيه فيسكبه وظن الملك ان الطائر ظمآن ولكن الامر تكرر فقبض الملك الطائر في سورة غضبه وفصل رأسه عن جسمه ، ولم يطق الملك صبراً على انتظار امتلاء الاناء بالماء فصعد الى اعلى الجبل مصدر الماء المتساقط وما اشد

دهشة الملك لما رأى افعى كبيراً ميتاً يقطر السم من انيابه فيتساقط الى اسفل حيث كان يجمعه باناثه ويبدده الطائر بجناحيه وانك ايها الشاه ستندم ان قتلت اخي كما ندم هذا الملك على صقره ...

ولما طلع الصباح وتداول الاخوان في الامر ضحك الصغير واخبرهم عن الافعى التي ارادت ان تلدغ الشاه فقتله وابقاه تحت السرير لأن الشاه رآه يضع السيف في غمده فادرك الشاب ان الشاه ارتاب في حركته فذهبوا الى الشاه واوقفوه على الحقيقة وأخرج الافعى من تحت السرير .

ولما تأكد الشاه من اخلاصهم وحسن رأيهم اتخذهم مستشارين له .... ؟

الهر وبنت الشـــواك

مات شـواك وترك ثلاث بنات وأمهـن في كوخ وسمعـت الاخـــت الصـغرى ان ثمة قصراً فخماً في المدينة سـيباع فذهبت الى هناك خلسـة وابتاعته بثمن عالٍ جـداً وبكت الأم كثيراً لهـذه الورطـة فمن اين سيدفعون الثمن لقد كذبت وورطت نفسها مرة أخرى فلم تكن متزوجة ٠

وأخيراً ذهبن الى القصر ووجدن فيه قبقـاباً عتيقـاً فلبسـنه بالتناوب ورحن يقـرقعن فيه ليظن الجـار انهـن مشـــغولات بتنظيف القصر وعند الغداء بعث الجيران صينية كبيرة مليئة بأشـهى الطعـام ولما دخـل الحمال بالصينية اختبأن لئلا يراهن غير ان الجيران جـاءوا يسـألون : اين رب بيتهم فقلن ان زوج الصغرى تاجر وهو الآن على سفر .

وبعد ان تناولن الغداء جاء هر وتركن له بعض الطعام فتناوله وترك لهن درة كالبيضة وبعث لهن الجار الآخر بطعام فوضع الهر في اليوم الثاني بيضة أخرى وتكرر العمل سـبعة ايام فاخـذت الفتاة الصـغرى الدرات وباعتهـا في سـوق المجـــوهرات بمئات الليرات وأثثت البيت تأثيثاً فاخراً ...

وقالت الصغرى في نفسها : اني اود ان ارى اين يذهب هذا الهـر ؟ فتبعته على بعد وسار في طرقات ملتوية حتى دخل بستانا مهجوراً ودخلت وراءه واختبأت في ركن لا يراها احـد فيه فنزع الهـر ثوبه وبدا شـــاباً بشرياً جميلاً ثم فك علبة صغيرة مربوطـة في زنده وفتحهـا وأخـرج منهـا

اجمل فتاة كانت زوجته ووضعت رأسه على رجلها وراحت تقص عليه اروع القصص حتى نام فرفعت رأسه ووضعته على وسادة وتركت القصر فتبعتها الفتاة الصغرى الى ان وصلت خرائب مهجورة واستقبلها شاب ماجن وشابات وزجروها لأنها تأخرت فقالت لصاحبها الشاب القبيح انها لم تستطع ان تنيم زوجها الا لتوها وشتمت زوجها ورقصت معهم حتى اعياها التعب وعادت فايقظت زوجها باعذب القبل .

وفي اليوم التالي اقام الشاب وليمة دعا اليها اصدقاءه الشباب وزوجاتهم في حديقة القصر فأكلوا وشربوا وضحكوا ورقصوا رقصاً عنيفاً فتناولت بنت الشواك عظمة وكانت مختبئة تحت المنضدة ورمت به زوجة الهر الخائنة وفقأت عينها وصاحت الزوجة من هول الألم فاجتمع الحفل حولها فوجدت الفتاة فرصة سانحة للهرب ...

وخرج الهر من قصره بعد ذلك ولكن في هيئة رجل كهل هذه المرة وحمل خرجاً مليئاً بالدرر وآخر مليئاً بمختلف الحاجات المنزلية وراح ينادي في الازقة .

- من يحجي لي على جرح گلبي انطيه هذا الخرج كله در ..

وقصت عليه كثير من النساء قصصهن فكان يعطي كل واحدة حاجة منزلية كالابر والبهارات وغير ذلك مكافأة لهن الى ان وصل الى قصر بنات الشواك وعرفته الصغرى وحكت له حكايته كما وقعت: تناولت العظم وفقأت عين زوجتك ...

فخرج الى البرية وفتح العلبة واخرج زوجته من العلبة واحرقها وعاد الى بنت الشواك وتزوجها بعد ان عاد شاباً جميلا وقالت الشقيقات لجيرانهن : لقد عاد التاجر زوج اختنا الصغرى .

عيـــــــــد

جلس بدوي وزوجته في خيمتهما يسرحان شعرهما الطويل لأن رجال البدو يطلقون شعرهم كالنساء . وطفـق الاثنان يفتخـران هذا يقـول اني اجمل وتلك تقول اني اجمل .

فقرّ رأيهـا ان يعـرضا نفسـيهما على تاجـر اقام خيمته قريباً منهما . فعرضت الزوجة زوجها اولاً فلم يدفع به التاجر سوى اربع ليرات . ولما عرض الرجل زوجته على التاجـر ورأى جمالهـا الاخـاذ ، دفع بهـا مائة ليرة . فقالت له : أرأيت اني اجمل

وهمّ الاثنان بالعـودة الى خيمتهما المنعـزلة عن خيام البدو ولم يكونا يقصدان ابعد من معرفة ايهما اجمل . غير ان التاجر اعتبر ان الصفقة منتهية . فأخذ الزوجة عنوة وربط زوجها بالحبل والقاه في خيمته .

ولما طـوى بقية البدو خيامهـم بعـد يومين لم تطو خيمة ذلك البدوي فجاءوا اليه فوجدوه ملقى في خيمته . وفكوا وثاقه وقص عليهم قصته . ثم شد الرحـال يطلب زوجته . وصـار يسـأل عن التاجـر في كل مكان يصله حتى بلغ مصر مساءً وقد هده التعب . فأتى الى بيت عجـوز وطلب منهـا ان تسـمح له بالمبيت عندها فأبت فأعطاها ليرتين ففـرحت وقالت له : أهـلاً وسهلاً بك . وقص عليهـا خـبره . فقـالت له : لا يسـتطيع مساعدتك سوى القصاب عيد . اذهب اليه واطلب العون منه .

فجاء البدوي الى السوق ووجـد القصـاب عيداً شـاباً ضـخم الجثة

قوياً . فانتظر الى ان انتهى من بيعه . فأ خبره بحكايته . فقال له القصاب : اتبعني . فتبع البدوي القصاب عيداً ووصله ليلاً الى بيت التاجر . فقتل القصاب الحارس وأعطى الكلب الكبير رأس كبش يشغله فيترك لهم الباب . وقتل كل من اعترض طريقهما حتى وصل غرفة التاجر . فقال القصاب عيد لصاحبه البدوي واني قد اتممت واجبي وما بقي الا واجبك . فدخل البدوي الغرفة ووجد التاجر وزوجته نائمين على سرير واحد فايقظها غير انها هددته ان هو لم يترك الغرفة فانها ستوقظ التاجر . والح عليها ان تأتي معه لكنها ابت لأنها رأت حياة البطر ففضلتها . فامتشق سيفه وقتل الاثنين .

ولما خرج البدوي سأله عيد : ماذا فعلت ؟ قال : قتلتها . فقال القصاب : لو لم تفعل ذلك لقتلتك معها .

وعند الصباح انتشر خبر مقتل التاجر وزوجته وحرسه وحار الناس في الامر . واستعصى عليهم معرفة السر .

وجاءت العجوز الى السوق وهي تقول :

- عليكم بعيد ماجتكم من بعيد .

فانتبه عيد الى قولها فرحب بها واغراها بقطعة كبيرة من اللحم . ودعاها الى دكانه . فلفها في جلد كبش كبير وخنقها وتخلص من شرها ....؟

أخت البـــدوي

كان لبدوي ولد . لما شـب عن الطوق واصـبح يسـتطيع العيش وحده ، طلب من ابيه ان يعطيه قسماً من غنمه ليعيش وحده في البادية . واقنع والده . فاختار قسماً منهـا واصـطحب معـه أخته وراعياً للغـنم . وضرب خيمته في مرج . وترك اخته في الخيمة وخـرج مع الراعي لرعي الغنم . ولما عاد مساء الى الخيمة لم يجد أخته فيها فحزن حزناً شديداً على ما حصـل له في يوم رجـولته الاول . فقـال للراعي : ابق انت هنا مع الغنم وسأذهب انا افتش عن أختي عساني أجدها .

وسار على غير هدى حتى وصل مدينـة لا يعرف احداً منهـا . فرأى قصاباً زبائنه كثير . فظل واقفاً ينتظر الى ان انتهى القصاب من بيعـه . ولاحـظه القصـاب فسـأله : يبدو أنك غريب ؟ قال : نعـم . قال القصاب : انك اليوم ضيفي فاصطحبه الى بيته وتناولا العشاء واسـتراحا قليلا . فنظر البدوي الى القصــاب وكان كمن ينتظر سـؤالاً . وعلم القصاب بحكاية البدوي الذي طلب عونه . فقال القصاب : يأتيني رجل لا اعلم عنه شيئاً . يبدو أنه رجل داهية وشجاع يلبس ملابس بيضـاء . يأتيني كل ثلاثة أيام ليأخذ مني ذبيحة .

تعال معي غداً واتبع الرجل عساك تعرف شيئاً عن أختك .

وانتظرا في اليوم الثاني مجيء الرجل . فأقبل عليهما . فاذا به رجـل يهابه كل من يقف امامه . فأشار الى ذبيحة ضخمة ووزنهـا القصـاب له

فوضعها على كتفه ومشى به . فتبعه البدوى على بعد . ولما وصلا خارج المدينة لم يجد البدوي صاحبه ذا الملابس البيضاء . فنظر الى الارض فوجد ان آثار اقدامه فقد اختفت قرب صخرة كبيرة . رفعها البدوي عن الارض فانفتحت عن سلم . نزل البدوي الى مكان لا يراه أحد منه . ونظر فوجد أخته جالسة امام باب غرفة . فظل البدوي في محله الى ان خرج الرجل ذو الملابس البيضاء . فأخذ البدوي أخته من ذلك المكان وعادا سريعاً الى البادية . غير ان الرجل لم يجد المرأة لما عاد . فخرج عندئذ مسرعاً يقتفي أثرهما فلحق بهما ورآها تجري مع أخيها .. فوضعها على كتف ووضع اخاها على الكتف الآخر . وعاد ادراجه الى بيته تحت الارض . وجلس الثلاثة الى مائدة العشاء . وقال الرجل للبدوي بعد ان انتهوا من عشائهم : دعنا نتبارز لنجد أياً منا أشجع من صاحبه ؟

وبدأت المبارزة ثم انتهت بانتصار البدوي . واوشك على قتله فقال له : استر عليّ ، الله يستر عليك . انا امرأة .

فدهش البدوي من قولها واستمرت قائلة :

- أراد أهلي تزويجي من ابن عم لي لا احبه فهربت منهم والتجأت الى هذا المكان حيث وجدت رجلا يسكنه فقتلته واستوليت عليه فاذا فيه ما تشتهي الانفس قررت ان اقوم بكل ذلك لأجد لنفسي الرجل الشجاع الذي يفوقني شجاعة فوجدتك ...

ثم أخذ الثلاثة ما خف حمله وغلا ثمنه في ذلك البيت الخفي وعاد بهما البدوي الى بيت ابيه وسرد عليه القصة ثم تزوج المرأة الشجاعة وعاشا سعيدين .

الفتـــاة الذكيـــة

في ليلة مقمرة من ليالي الصيف تمددت الأم على الحصير ووضعت رأسها في حضن ابنتها الصغيرة التي لم تتجاوز الحادية عشرة ، وفرحت الصبية بأمها وراحت تفلي رأسها فتشعر الأم بزوال التعب وفيما هي كذلك رفعت نظرها الى الأعلى فرأت على الحائط رجلا غريباً كان لصاً ولما رأى المرأتين نزل بكل هدوء واتجه نحو التنور واختبأ فيه ريثما تنام المرأة وابنتها ليسرق ما تقع عليه يده في بيت الارملة …

غير ان الصبية لم تخش اللص ولم تخبر امها عنه بل سألتها …

- ماما هل سأكبر وأصبح جميلة ؟

فاجابتها امها : نعم يا ابنتي

- ماما وأتزوج ؟

- بكل تأكيد يا امي تتزوجين

وسألت البنت امها مرة اخرى

- ويصير عندي ولد يا ماما ؟

- نعم ويصير عندك ولد يا ابنتي

- أسميه احمد

فقالت الام نعم يا ابنتي

فقالت البنت لأمها فرحة :

- ويصير عندي ولد ثان واسميه حسينا ؟

فردت الأم بلهجة فرحة ايضا سيكون لديهم ولدان
- نعم يا بنيتي سّميه حسينا .
بيد ان البنت لم تكتف بالولدين فقالت :
- ويأتيني ولد ثالث واسميه ابراهيم
فقالت الأم نعم سميه ما تشائين ..

وكان اللص يستمع الى الصغيرة ويلعنها لأنها لم تنم ولم تدع امها تنام حتى الآن غير انه كان يستمع الى الصغيرة بلهفة ...

- واذا جاء العيد سأشتري لهم اجمل الملابس واذهب بهم الى العيد حيث الاراجيح ودواليب الهواء والرقص والغناء لكن الصغار يا أمي يعبثون في التراب فتتسخ ملابسهم وآخذهم الى النهر القريب لأغسل لهم ايديهم ووجوههم فيقع ابراهيم في النهر ويغرق ولا استطيع انتشاله واصيح بأعلى صوتي : وتصيح الفتاة بأعلى صوتها :
- يبو ابراهيم يبو تعال! تعال ابراهيم ....
وعادت تكلم امها بلهجتها الاعتيادية وصوتها الاول :
- والتفت الى حسين فاذا به يقع في النهر ايضا واصيح بأعلى صوتي فتجلس الأم بينما الفتاة تصيح وتخمش خدها وتقول : ماما عيب من الجيران غير ان الفتاة تواصل صياحها ... و
- يبو ... يبو ... حسين ! ... يبو حسين تعال .

وتقول لأمها ويلقي احمد اخوهم الاكبر نفسه محاولاً انقاذ اخويه من الغرق فيغرق هو ايضا : وأصيح :
- يبو احمد يبو يبو احمد تعال احمد تعال! والأم تحاول ان تسكت ابنتها وتضع يدها على فم الصغيرة لتحبس الصوت غير ان الجيران يسمعون ويأتون اليها فقد كان احد جيرانهم اسمه احمد والآخر ابراهيم والثالث حسين وسألوهما :

- ماذا حصـــل ؟

فاشارت الصبية الى التنور قائلة : هناك لص

كان اللص قابعاً في التنور يتابع آمال الفتاة ولم يفطن للخدعة التي ورطته فيها حين صاحت بأعلى صوتها على جيرانها الرجال الذين خفوا لنجـدتها وامسكوا به ٠٠٠ ؟

حامض اللبن وطيب اللبن

يحكى عن صديقين اسم احدهما طيب اللبن واسم الاخر حامض اللبن ، انهما أتفقا ان يهجرا القرية التي يعيشان فيهما الى المدينة طلباً للعمل . فحمل كل منهما معه متاعه في صرة . وظلا يسيران ويسيران حتى جاء المساء . فقال حامض اللبن لصديقه طيب اللبن : لنكن صديقين وفيين فنتقاسم طعامنا . ونبدأ اليوم بطعامك وغداً بطعامي . وكان طيب اللبن نقي الفؤاد فوافق في الحال . وفرش المنديل ووضع عليه طعامه وتناولاه . حتى اذا انتهيا قررا ان يفتش كل منهما عن مغارة ينام فيها ليله . وصمم حامض اللبن ان يهرب ويترك صديقه طيب اللبن الذي جاء الى مغارة فدخلها ووصل الى نهايتها ثم وضع امامه حاجزاً من الشوك ونام . غير أنه استيقظ عند منتصف الليل على صوت يقول

- اني اشم رائحة انسان .

فنظر طيب اللبن من وراء الاشواك فرأى اسداً وابن أوى وفأراً وحيوانات اخرى . فعرف طيب اللبن انه نام في منتدى الحيوانات وسمع ابن أوى يقول

- لو يوجد انسان هنا لاجهزت عليه بلقمتين . لا يوجد احد سوانا تكلموا ما تشاؤون .

فقال الاسد : لو يعلم الانسان ان في الخرائب الفلانية كنوزاً من الذهب مدفونة ، لذهب اليها واستولى عليها .

وقال ابن آوى : لو يعلم الانســان ان جمجمة فتاة باكر عذراء موجودة وراء التل

فلم يمهله الثعلب بل اكمل قول ابن آوى قائلا

- اذا وضع الانسـان فيهـا حليباً من العـنزة الفـلانية عند الراعي الفلاني وتركها ستأتي أفعى وتشرب منه ثم تتقيأ الحليب .

فسبقه ابن آوى الى النتيجة

- فيكون ذلك دواء لكل مبتلى بالجنون

فقال الفأر ولو انه علم ان بنت السلطان مريضـة لذهب اليهـا بهـذا الدواء واشفاها ..

وكان طيب اللبن يسـتمع الى ذلك مبهـور الانفـاس ويتمنى لو أن الصباح اشرق في الحال .

فبحث عند الصـباح عن الجمجمة وحلب العـنزة وترك الحليب فيهـا فجـاءت الافعـى وشربت منه وتقيأته . فاخـذه طيب اللبن ووضــعه في اناء . وتوجــه الى بيت الســلطان وتوقف امام بابه . وشرع ينادي : طبيب . طبيب . حكيم يشفي الامراض . يشفي الجنون .

فخرج اليه رجل من رجـال السـلطان وقال له : ان بنت السـلطان مصـابة بالجنون منذ سـنة . وانت تدعي انك تسـتطيع شــفاءها فان لم تستطع فان السـلطان يقـطع راسـك كما قطع رؤوس الآخـرين . وأراها له .

فوافق طيب اللبن . وادخلوه القصر . وطلب منهــم ان يعقــدوا له على البنت كي يحل له رؤية جسمها وتطبيبها . فادخلوها في غرفة خاصة ونزعوا عنها ثيابها كما طلب منهم الطبيب . فدلك جسمها بالسـائل الذي معه واغلق عليها الباب وتركهـا نائمة كما لم تنم من قبل . ثم صـحت من نومها وطلبت ملابسها وشعرت بالخجل من وضـعها كما لم تشـعر من قبل

ونادت من اجل الطعام . فجلب لها . وفرح كل من في القصر . وسر والدها وقال لطيب اللبن : بما انك اشفيت ابنتي من مرضها فهي زوجتك حسب العقد . وانك وريثي من بعدي .

فخرج طيب اللبن من القصر واخبرهم انه ذاهب الى اهله لجلب خزائنه . بيد انه في الحقيقة استأجر بقالاً وذهب الى الخرائب فحفر الارض واستخرج الكنوز المدفونة فيها . وعاد بها الى قصر السلطان . وتزوج ابنته في حفل بهيج .

ومرت الايام واذا بطيب اللبن جالس امام قصر السلطان . فمر به رجل رث الثياب . أرسل طيب اللبن في طلبه . وسأله : هل تعرفني يا حامض اللبن ؟

قال - لا

قال له - انا صاحبك طيب اللبن . اتذكر يوم اكلت طعامي وتركتني جائعاً في اليوم الثاني .

ثم قص عليه قصة المؤتمر والسر الذي سمعه من الحيوانات فكان ما كان .

فذهب حامض اللبن الى نفس المغارة التي نام بها صاحبه طيب اللبن . وعند منتصف الليل جاءت الحيوانات . واكتمل النصاب .

فقال الاسد : اني اشم رائحة انسان .

وايده الجميع في قوله واحساسه . وفتشوا عنه فوجدوه وراء حاجز الشوك . وقالوا : ان هذا هو الذي سمع سرنا في السابق وسرق الكنز . فزقوه ارباً وتناولوه طعاماً سائغاً : .

شكر وخلف الراعي

كان لملك راع يرعى له الغـنم . وكان اسمه خلف . وفي يوم من الايام طلب خلف من ابيه ان يخطب له ابنة الملك . فقال له ابوه : يا بني ان الملك لا يعطي ابنته زوجة لراعي . فهو يعتبره عبداً له او ادنى ، وان كنت مصراً فاذهب بنفسك واخطبها منه .

وعندما ذهب الراعي خلف الى الملك وجد الوزراء جالسين في حضرته . فعرض على الملك امنيته فاستخف به الملك واستهزء . واشار الى الوزراء على الملك الا يصرف الراعي بل يطلب منه اموراً يستحيل تحقيقها .

فقال له الملك : اريد منك ان تحضر لي بساطاً يكفيني ويكفي جميع عسكري واريد منك سُفرة عليها طعام يَكفيني ويَكفي جميع عسكري . واريد ان ارى منك شيئًا لم اره من قبل .

فرجع خلف الى امه وقال لها : هاتي متاعي . فاعطته رغيفين من الخبز وضعها في عليجته . وخرج وصار يمشي ويمشي حتى اخذ منه التعب كل مأخذ وانهكه الجوع والعطش فوصل الى نهر . فجلس واخرج الخبز وبلله بماء النهر وأكل ثم شرب ماء . ولما انتهى من ذلك قال : ياربي لك الحمد والشكر . واذا برجل يخرج اليه من النهر ويقول له : ماذا تريد مني ؛ انا شكر .

فقال الراعي : انا لم اطلبك بل قلت : ياربي لك الحمد والشكر .

فقال الرجل : على كل انا شكر . فتعال معي .

فذهب خلف معه ونزل في الماء . وصار الرجل يدرسه ويلقنه حتى جاءت فترة الراحة . فقالت زوجة الرجل لخلف سيمتحنك زوجي قبل حلول العطلة . فان سألك هل تعلمت ؟ قل له : لم اتعلم شيئاً .. اي شيء لانك إن قلت . تعلمت اي شيء فانه سيقتلك .

وحان موعد الامتحان . فاحضر شكر رزمة من العصى . وشرع يقرع الراعي خلف . وخلف لا يقول سوى : لم اتعلم اي شيء . لم اتعلم اي شيء . واعتبر شكر الامتحان منتهياً فقال له : خذ هذه السفرة الى اهلك يأكلون منها ما يشتهون فذهب خلف الى اهله وصاروا يأكلون ويأكلون حتى وان لم يجوعوا . وانتهت العطلة . واخذ خلف متاعه وجلس لدى النهر وخرج له شكر . واخذه معه واستأنف تعليمه . وحان موعد الامتحان . وصار شكر يضرب خلفاً ويقول ماذا تعلمت فيقول خلف لم اتعلم شيئاً .

فاعطاه شكر بساطاً يتسع متى شاء ان يتسع . فذهب الى اهله وقضى العطلة ثم عاد الى شكر بعد ان حمد ربه وشكره واكل متاعه من الخبز .

ودرسه شكر وامتحنه واجاب خلف انه لم يتعلم شيئاً .

فاعطاه رحى وقال له : لو ادرتها دورتها الطبيعية يتساقط منها اليك ذهب . ولو ادرتها بالاتجاه المعاكس تساقطت اليك فضة . وذهب بها الى اهله . وكانوا يديرونها ليلا باتجاهين فتدر عليهم ذهباً وفضة . وانتهت العطلة وعاد خلف الى شكر كما كان يرجع كل مرة .

وحدث ان كسرت الرحى في بيت الملك فارسلوا في طلب رحى من بيت الراعي . فقالت الخادمة لام خلف هل لديكم رحى ؟ فلم تجب ام خلف اي جواب . غير ان الخادمة قالت اني اسمع صوت رحى ليلاً .

ففتشت الدار . وعثرت على الرحى وادارتها فتساقط لها ذهب وعكست الدورة فتساقطت لها فضة . فذهبت مسرعة الى زوجة الملك واخبرتها وسمع الملك فجاء الى البيت واخذ الرحى عنوة .

واكمل خلف دراسته . وامتحنه شكر واجابه الجواب نفسه : لم اتعلم شيئاً .

فاعطاه شكر حبلا وميجنة وقال له : ان اردت شيئاً فقل فقط يا حبل لف ويا ميجنة دقي . ثم عاد الى اهله . فاخبروه عن الرحى وكيف اغتصبها الملك غير انه لم يعرهم التفاتاً .

ثم قال لامه : سوف اقلب نفسي بغلة وخذيني الى السوق واعرضيني للبيع . ولكن حذار ان تبيعي الرشمة (اللجام) لان روحي فيها .

ثم قلب نفسه بغلة وعرضته امه للبيع في السوق وباعتها للملك بمئة ليرة واستردت الرسن . وكانت بغلة جميلة لم ير الملك مثلها فوضعها في بيته وصار يتفرج عليها فذهبت الى ابريق ماء صارت تشم فيه فادخلت رأسها فيه ثم رقبتها واختفت البغلة في الابريق . فهال الملك هذا المنظر وراح يصيح ان البغلة اختفت في الابريق ولكن لم يصدقه أحد وقالوا ان الملك جن .

ثم عاد خلف الى امه وقال لها : سوف اقلب نفسي ناقة ولكن حذار ان تبيعي الرشمة فذهبت به الى السوق . وعلم شكر بما يفعل تلميذه خلف وينافسه في اعماله الخارقة . فغضب وجاء الى السوق وقرر ان يشتري الناقة مع اللجام . فاغرى الام بكثير من المال واشترى الناقة واللجام . وقاده الى الحداد وهو يقول له : يا خلف أتعلم ماذا ينتظرك ؟ كنت أسألك هل تعلمت شيئاً فتجيبني لا لم اتعلم شيئاً . سوف اقتلك شر قتلة .

ثم جاء به الى الحداد وطلب منه ان يوقد ناراً حامية . وربط شكر

الناقة التي راحت تنظر الى النار . وفيما هم منشغلون قلب خلف نفسه من ناقة الى جرذ . فرآه شكر فقلب نفسه قطاً ورصد الجحر الذي دخله الجرذ . فقلب الجرذ نفسه طيراً فتحول القط الى صقراً ولحق الطير الذي نزل الى حديقة الملك وتحول الى وردة في تلك الحديقة فتحول الصقر الى درويش . ووقف امام باب الحديقة فخرج اليه الفلاح وظنه شحاذاً فاعطاه قليلا من النقود . غير ان الدرويش رفضها وطلب منه وردة في الحديقة . فقال له الفلاح لا وجود للورد في هذا الفصل . أمجنون انت فقال الدرويش : انظر اليها تلك هي الوردة التي اريدها فنظر الفلاح ورأى الوردة . فقال لا اعطها الا للملك عساه يكرمني شيئا . فاعطاها للملك وفرح بها كثيراً .

وذهب الدرويش ووقف امام باب القصر فأمر الملك ان يعطى بعض النقود غير انه رفض وطلب الوردة فرفض الملك . وقال الوزراء : ايها الملك . ان الوردة ستذبل في مدة قصيرة ولن تفيدك شيئاً . فناولها الى الدرويش ومد الدرويش يده لاخذها غير انها تحولت الى رمانة قبل ان تصل اليها يد الدرويش وسقطت على الارض وانفرط حبها على الارض . فتحول الدرويش الى ديك وصار يلتقط حب الرمان . ولم يبق سوى حبتان . فدهش الملك لهذا المنظر . وراح الديك يقلب نظره بين الحبتين : واحدة تحت كرسي الملك واخرى تحت كرسي احد الوزراء . وكان حائراً لا يدري اي حبة يلتقط لانه اذا التقط واحدة فلعل خلف الراعي يخرج من الاخرى . واخيراً قرّ رأيه ان يلتقط الحبة التي تحت كرسي الملك فتناولها . فتحولت الحبة الاخرى الى ثعلب أكل الديك وانتهى منه . فقلب الثعلب نفسه رجلا . واذا بالرجل خلف الراعي . فدهش الملك . وقال له خلف : ايها الملك ، هذا اول امر احققه لك . فقال الملك : صدقت . اني لم ار مثل هذا قبلا ولكن اين السفرة واين

البساط ؟

فقدم خلف الراعي سفرته وبساطه وجر بهما الملك . وقال خلف للملك : الا استحق الآن ابنتك ؟ فسكت الملك ولم يحر جواباً . وعاهده ان يزوج ابنته بعد ذلك . وخلف صابر يوماً بعد يوم . غير ان الملك رفض ان يزوجه ابنته .

فتوجه خلف الى قصر الملك بالحبل والميجنة وامرهما باللف والدق . فوقع الملك والوزراء تحت ضربات الميجنة وراحوا يستنجدون بخلف الراعي ويعاهدونه انهم سيزوجونه ابنة الملك . فاوقف الحبل والميجنة عنهم .

وقال الملك له : ابنتي زوجتك . وانت الملك فهاك تاجي . وتنازل الملك لخلف الراعي عن العرش . وصار هو حاجباً له .

أرذل الصفات

اراد احد الملوك ان يكتشف مدى اخلاص وزيره الاكبر . فارسل في طلبه واجلسه في بلاطه . ثم سأله : أريد ان أعرف منك : ما أرذل صفة في الانسان .

فاجابه الوزير في الحال . غير ان الملك كان يرد عليه بالنفي في كل مرة . وطلب الوزير مهلة فاجيب الى طلبه . وراح يسأل الناس بادئاً من وزرائه ولم يترك أصغر الموظفين ، وكان كلما ظفر بجواب عاد الى الملك به . ولكنه يعود من حيث أتى خائباً . فسأل المدينة كلها ولم يحض بالجواب المرغوب . فقرر الوزير ان يلبس ثوب الدراويش ويخرج الى الريف بحثاً عن جواب لسؤال الملك . وصار يسأل ويسأل فيجاب بنفس الاجوبة التي سمعها قبلا . حتى اذا يئس وقرر العودة الى المدينة والموت يترآى له بين عينيه رأى راعيا شاباً يدخن نركيلة وهو جالس . فسأله الوزير عن ارذل صفة في الانسان وطلب منه الاجابة عنها والا فالموت ينتظره حال رجوعه . فأجابه الراعي : الطمع .

وكان الراعي ينفخ في نركيلته والوزير يتكلم فتطفر منها ليرة الى الخارج . وهكذا ثلاث مرات . فدهش الوزير وقال للراعي : اراك لا تهتم بالليرات التي سقطت على الارض . ولم يقل له الراعي انه جمعها من اتعابه وعذابه . بل قال : ابي شيخ غني ويحبني كثيراً فاعطاني عدداً كبيراً من الاكياس الكبيرة المليئة بالليرات .

فقال الوزير : اعطني شيئاً منها

فرد عليه الراعي : حسناً . سأعطيك ما تشاء ولكن بشرط ان تعوي كالكلب .

فقام الوزير ودار حول نفسه وهو يعوي كالكلب . وقد اجاد ذلك تمثيلا .

فقال له الراعي : حسناً اريدك ان تموء كالقط .

فراح الوزير يتمسح باذيال الراعي ويموء كالقط .

وقال الراعي للوزير : اريدك هذه المرة ان تنهق كالحمار .

فرفع الوزير رأسه الى اعلى وصاح كالحمار ثلاث مرات تأكيداً .

وما فتيء الراعي يطلب والوزير يلبي فأتى على عدد غفير من الحيوانات والطيور . وعند ذلك قال الراعي للوزير : اذهب الى ملكك واخبره بجوابي . واجلب معك الحمير او البغال لتحمل عليها اكياس الليرات التي سأعطيك اياها .

وذهب الوزير فرحاً مسروراً الى بلاط الملك وصاح من الباب : وجدته ، وجدته

فقال له الملك : وما هو

فاجاب الوزير : هو الطمع يا سيدي الملك

فقال الملك : هذا ليس بجوابك . علي بالذي علمك واخبرك .

فذهب الوزير الى الراعي وأتى به الى بلاط الملك .

فسأله الملك : قص عليّ قصتك مع الوزير .

فقص الراعي ما حصل له مع الوزير . وكيف سأله ، وأجابه إن الطمع أرذل صفة في الأنسان . وهذه الرذيلة جعلت الوزير يقلد اصوات كل حيوان يطلبه منه بل يتمرغ عند قدميه . فعزل الملك الوزير وعين الراعي في محله .

الغلاف : لوحة للفنان نزار سليم
الأشراف الفني : محمد هاشم

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٥٢
لسنة ١٩٧٩

دارالحُـريـّة لِلْطبَاعَـة ـبغـدَاد

١٦٨

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

دار الرشيد للنشر

السعر ٨٠٠ فلساً

دار الحرية للطباعة - بغداد

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان